السنة العشرون   العدد ١٠   تشرين الاول   ١٩٢٢

المشرق

رحلة جديدة

الى الشيخ عادي والربّان هرمزد

بقلم حضرة القس سليمان صائغ الكلداني الموصلي

في شمالي شرقيّ الموصل عدّة جبال متتالية يفصلها عن بعضها وديان او انهار صغيرة يدعوها كتبة الكلدان جبال قردو ويسمّيها العرب جبال الهكّاريّة وهي سلسلة جبال تمتدُّ الى وان. وفي مشارف هذه الجبال وسفوحها آثار اديار وقرى عديدة كان يستوطنها قديماً الكلدان النساطرة ورهبانهم. وهي اليوم اراضٍ بائرة واخربةٌ مهيبة ينطق لسان حالها عن انتشار الدين المسيحي وعظمته في الاعصر الخالية. أمّا القسم المعمور منها فيسكنهُ حاضراً الاكراد واليزيديُّون وبعض المسيحيين المتفرّقين بين قرى الاكراد وهم يرزحون تحت ثقل العبوديّة فيتصرّف بهم اغاوات الاكراد تصرُّف المالك بملكهِ والسيّد بعبدهِ

ومن فروع جبال قردو جبل يُدعى بيت عذرا او باعذرا يبدأ من سهل رهكان قرية صغيرة شماليّ الموصل فيمتدّ من الغرب الى الشرق فيشرف على القوش قرية ناحوم النبيّ المبنيّة في لحفهِ ثمَّ يسير تاركاً في جنوبهِ قرية بيت عذرا على مسافة ثلاث ساعات تقريباً ويتّصل بجبل العقر لا يفصله عنهُ سوى نهر الخازر. ففي هذا الجبل اثران نفيسان تحرّينا وصفهما في الاسطر التالية اعني الشيخ عادي ودير ربّان هرمزد

وبيت عذرا هذه التي بها دُعي الجبل المذكور قرية شهيرة في تاريخ الكلدان واقعة على مسافة نحو عشر ساعات شمالي شرقي الموصل وكانت سابقاً من اكبر قرى

اسقفية بيت نوهدرا من مطرنية حَدياب (الموصل). احتلّها في القرن الخامس الجاثليق آقاق وشخصَ اليها برصوما اسقف نصيبين ليقدّم خضوعهُ لجاثليقهِ. وهذه القرية هي اليوم مركز الامارة اليزيديّة واليزيديّون يطلقون عليها وعلى ما يجاورها من القرى اسم الشيخان وموقعها في ارض فسيحة يكتنفها تلال كثيرة متّصلة بجبل صغير يمتدّ مسافة اربع ساعات وينتهي شرقيّ عين سفني قرية مشايخ اليزيديّة. ويسيح حول بيت عذرا نهر صغير يروي اراضيها ويشرف عليها قصرُ الامارة المبني فوق تلّ كبير شماليّ القرية وهو قصر فخيم واسع الارجاء تلتصق بهِ جنينة غنَّاء حافلة بانواع الاشجار والاثمار الجنيّة

وفي شماليّ القصر طريق وعرة كثيرة الصخور ذات حزون وبطون اذا اقتصّ السائح آثارها تنتهي بهِ الى لحف جبل بيت عذرا فيرتقي متوقّلاً الى اعاليهِ حتى اذا كاد ان يبلغ قنّتهُ يرى وادياً عميقاً في قعرهِ ابنيةُ الشيخ عادي. فينزل اليهِ منحدراً بين اشجار مختلّة مشتبكة الاغصان الدانية الى الارض فيصل الى اعماق الوادي بعد ربع الساعة فيشاهد هناك منظراً يأخذ بالابصار فيرى مباني الشيخ عادي في موقع جميل تشغل منفسح ذلك الوادي. وفي اطرافهِ من جوانب الجبل غرفٌ وحُجَر يأوي اليها حجّاج اليزيديّة عند قدومهم الى هذا المقام. ويرى الداخل اليهِ عند الباب صخرةً عظيمة ناتئة من الجبل يتدفّق من جوفها ماء زلال يسيل الى ثلثة احواض واسعة يفيض منها في اقنية ومسارب فيتشعّب الى جميع دور هذا البناء الفخيم وهي عشرة ونيّف (انظر صور ابنيتهِ ومدخلهِ)

١ الشيخ عادي وآثارهُ

زرتُ هذا الاثر في مساء يوم من أيّام القيظ الشديد وبلغتُ اليهِ عند مغيب الشمس اذ كان الفقير — وهو عندهم احد خدَمة دينهم — يعطّر الدور بالبخور ويوقد المصابيح في الكهوف اكراماً للملك طاوس الذي هو عندهم ملك الظلمة اعني ابليس خزاهُ الله يعبدونهُ رجاء ان ينجوا من شرورهِ. فألفيت هذا المحل طيّب الهواء معتدل الحرّ مع وفرة مياههِ والتفاف اشجارهِ الملتبدة وموقعهِ في وَهدةٍ من الجبل

واوّل ما يتبادر لذهن الناظر الى ذاك البناء انّهُ لا يَصلح الّا لقومٍ من النسّاك الذين ينزوُون من ضوضاء العالم فيحكم عند نظره انهُ دير قديم لسكنى الرهبان

فتلك الكهوف العديدة والقلالي المنقورة في الصخر حول الجبل وحول العبد المشيد في وسط البنيان تجل غيره من الاديرة التي اقامها النصارى في الجبال المجاورة المعتزلة عن الاماكن المأهولة. وكذلك المعبد فانّ بناءه وهندامه على نسق كنائس النصارى في الاعصر الخالية. زد عليه ما يُرى على جدرانه في الداخل من الخطوط الكلدانية بالقلم الاسطرنجيلي وقد طُليت عمدًا او جهلًا فمع توالي السنين قد انقشع قسمٌ من هذا الطلاء وبرزت من تحته بعض الحروف. وقد رأينا كتابات اخرى بالقلم العربي ورسوماً على جدرانه من الخارج وعلى بعض الجنادل ويظهر انها حديثة. قال الاب مرتان (Abbé P. Martin: *La Chaldée*, p. 38) ان معبد الشيخ عادي كان قديماً ديرًا آهلًا على اسم مار اذي رسول الكلدان واحد الاثنين والسبعين تلميذًا.

ومما ثبت عندنا استنادًا الى بعض منظومات يشوعياب مطران اربيل المعروف بابن القدّم ان مؤسّسي هذا الدير راهبان من رفقاء ربّان هرمز الفارسيّ في القرن السابع للمسيح. وكان ربّان هرمزد المذكور ترهّب في دير برعيتا (ܒܪ ܥܝܬܐ) شرقي كمليس على مسافة ساعة ونصف منها تقريباً وبعض ابنيته باقية الى يومنا. ثم خرج ورفقته ستة آخرون وهم ابراهيم ويوصاداق وشمعون واذّورنا ويشوعسبران ويوحنّا فشخصوا الى جبل بيت عذرا فوجدوا هذا الموقع العجيب البعيد عن العمران وبقربه عين ماء جارية فمكثوا هناك بضعة ايام ثم افترقوا فسار ربّان هرمزد الى القوش حيث اقام ديره المعروف باسمه الى اليوم. وذهب يوصاداق وشمعون واذّورنا الى شمالي بيت عذرا فشادوا ديرًا في جبل قردو شمالي زاخو ترى الى يومنا آثار كنيسته مع بعض قلاليه المنقورة في الصخر. وتخلّف منهم يشوعسبران ويوحنّا فثبتا في مكانهما وشيّدا ديرًا فخيم البناء. وانضوى اليهما عدد عديد من الرهبان وكان المرضى من القرى المجاورة يقصدون هذا الدير فينالون الشفاء من عاهاتهم. ويستند الناظم في ذكر هذه المعجزات الى كتاب اخذته يد الضياع يدعوه بكتاب الاخبار. واستمر هذا الدير عامرًا آهلًا بالرهبان حتى ظهور الشيخ عادي في اواسط القرن الثاني عشر فطرد رهبانه واغتصبه منهم. وهذا نص عبارته بحرفها :-

ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܒܥܐ ܘܫܬܝܢ : ܕܝܘܢܝܐ ܗܕܐ ܡܬܒܥܝܐ
ܥܠܘ ܗܢܘܢ ܒܢܝ ܡܫܠܡܢܐ : ܘܒܙܘ ܟܘܪܗܐ ܕܐܝܬ ܕܝܪܝܐ

ܘܗܘ ܒܫܠܡܐ ܘܩܥ ܢܒܠܐ : ܘܢܦܩܘ ܕܝܢ ܠܒܘܫܡܐ ܡܢܗ
ܘܐܫܬܠܛ ܥܠ ܩܢܝܢܢ : ܘܗܘܐ ܠܗ ܡܫܥܒܕܢܐ ܕܟܠ ܐܬܪ
ܘܩܪܝ ܫܡܗ ܒܟܠ ܐܬܪ ܘܡܕܝܢܬܐ : ܫܝܟ ܥܕܝ ܥܕܡܐ ܠܝܘܡܐ

ما معناه : « ولبث هذا الدير بيدنا حتى كان اليوم الذي اقبل فيه الشيخ عادي وقد تبعهُ كثيرون من الاشياع والموالين وخضعوا له فابتزَّ اموالنا واغتصب ديرنا وما زال هذا الدير يُعرف باسم الشيخ عادي في كل مكان الى هذا اليوم »

ومن هذا يستفاد انَّ الشاعر كان عائشاً بعد زمن قليل من هذه الحادثة اي في حوالي القرن الثالث عشر

امّا من هو هذا الشيخ عادي او عديّ فقد بحث في جنسهِ واصلهِ حضرة الاب انستاس الكرملي في مقالتهِ عن اليزيدية (اطلب المشرق ٣ [١٨٩٩]: ٣٣-٣٦ الخ) . ولابن خلكان عن الشيخ عدي كلام يوافق لما نقلناه عن ابن المقدّم حيث يقول (في وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٩٧) :

« سار ذكر الشيخ عدي (او عادي) في الآفاق وتبعه خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحدّ حتى جعلوه قبلتهم التي يصلّون اليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعوّلون عليها . وكان قد صحب جماعة كثيرة من اعيان المشايخ الصلحاء المشاهير مثل عقيل المنبجي وحماد الدباس وابي النجيب عبد القادر السهرزوري وعبد القادر الجيلي وابي الوفاء الحلواني ثم انقطع الى جبل الهكاريّة من اعمال الموصل وابتنى هناك زاوية ومال اليهِ اهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لارباب الزوايا مثله وقيل انَّ مولدهُ في قرية بيت فار من اعمال بعلبك وتوفي الشيخ عدي سنة ٥٥٥ (هجرية اي ١١٦٠ ميلاديّة) ودفن بزاويته وقبره عند اشياعه من الزيارات المعدودة والمشاهد المقصودة »

فنرى ان ابن خلكان يؤيد ما اورده ابن المقدّم عن احوال الشيخ عادي كاجتماع الناس عليه وتجاوز اعتقادهم به الحدّ اذ ان اليزيديين يعتبرون الشيخ عادي الاهاً يسجدون له ثم ذكر ابن خلكان شخوصه الى جبل بيت عذرا ويسميهِ جبل الهكاريّة لاتصال جبل بيت عذرا بجبل الهكاريّة (١ ثم اتخاذه زاويةً فيه وهي دير يشوعسبران ويوحنا حيث اجتمع عليه الاشياع العديدون وفي تلك الزاوية توفي سنة

١) البلاد الهكارية او الهكاريّة هي قطعة من كردستان تتصل بحدود العجم وكانت قديماً تخضع لامراء الموصل وملوكها . فلما آل امرها الى الحكومة العثمانية جعلتها ولاية مستقلة من غيرها ثم ألحقوها بولاية وان . ويحدّها شرقاً بلاد العجم وشمالاً وان وغرباً سعرد وماردين وجنوباً الموصل المتصلة بجبالها

١١٦٠ ميلاديّة ويُقال ان قبره موجود في المعبد المعروف باسمه اي الشيخ عادي وهو الدير المذكور الا ان اليزيديين لا يكشفونهُ لغيرهم وهو قبلتهم في صلواتهم واليه يحجّون من البلاد القاصية

وبعد موت الشيخ عادي اقام حفدتهُ شعارهُ واقتفوا آثاره وما زال الناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من الاعتقاد والتعظيم المفرط حتى قُضي عليهم . وقد ذكر ابو الفرج ان شرف الدين محمد سبط الشيخ عادي الكردي من بلاد الموصل قتلهُ مع اصحابه انكورك نوين التتري سنة ١٢٥٧ ميلاديَّة (مختصر الدول لابن العبري ص ٤٦٦)

٢ دير ربّان هرمزد

دعنا الآن ايها القارئ اللبيب نبرح هذا المحلّ الذي اضحى اليوم معبداً لارواح الظلمة ونسير غرباً بحذاء جبل بيت عذرا ونقطع مسافة خمس ساعات تقريباً . فقبل ان نصل الى قرية القوش نرى في صدر الجبل بناء شبيهاً بشرفة يطلّ على وادٍ تحدّه صخور جليلة المعالم فذاك دير ربّان هرمزد الفارسي . قال الاب مرتان في كتابهِ عن الكلدان يصفهُ بما تعريبهُ : « انّ موقع دير ربّان هرمزد لمن اجمل مواقع الطبيعة بل هو احد الآثار الثنيسة الفريدة اذ لا تجد لهُ نظيراً لا شرقاً ولا غرباً وقد يضارعهُ موقعاً دير القديس سابا الواقع قريباً من اورشليم »

ويتألف الدير المذكور اولاً من كنيسة مبنيّة فوق صخرة عظيمة ناتئة من الجبل تُشرف على الوادي فيراها الناس من فرجةٍ كأنها موطن الراحة ومربع الأمن تدعوهم اليها ليذوقوا فيها عذوبة السلام . ثمَّ بقربها اربع غُرَف وقلاليّ عديدة يتجاوز عددها الستين وكأنها منقورة في الصخر ومعلّقة في ذلك الجبل الشاهق تلوح كأنها اوكار لانواع الاطيار التي تطرب الاسماع بتغريدها في تلك الآكام والوديان . وبين تلك الغرف والقلالي مراقٍ عجيبة تصلها ببعضها ثم تنفذ الى الكنيسة حيث كان الرهبان يجتمعون لتأدية الفرائض الدينيّة . واعجبُ ما يرى هناك مائدة الرهبان وهي حجرة واسعة فسيحة مربّعة الشكل تبلغ مساحتها نحو خمسين متراً مربّعاً منقورة في صخرة واحدة في وسطها ثلاثة عواميد عظيمة ضخمة من الصخرة عينها .

ومنها ايضاً المقاعد والرفوف والكُوى . وفي هذا الجبل عدة صهاريج منقورة ايضاً في الصخر بصناعة محكمة تجتمع فيها مياه الشتاء . . على انَّ هذا الاثر الفريد قد اصبح لطول العهد هدفاً للخراب ما لم يُشرع بعض المحسنين فيمدُّوا الى اهله يد المساعدة ليتلافوا امرهُ ويرمموا خرابهُ

نُسب هذا الدير الى مؤسسهِ ربّان هرمزد الفارسي الاصل الكلداني النسطوريّ النِحلة . وقد بلغتنا اخبارهُ واخبار ديره على يد كتبة مختلفين أقدمهم على ما يُقال شمعون الراهب احد تلاميذ يوصاداق الذي كان معاصراً لهُ . وقد نظم سيرة ربّان هرمزد كاتب اسمهُ سرجيس احد رهبان هذا الدير في حوالي القرن السابع عشر على نمط موشح ادوارهُ على عدد حروف الهجاء . فيبتدئ كلّ دور باحد الحروف . والسيرتان قد نشرهما المستشرق الانكليزي ولّس بودج (E. A. Wallis Budge) منها نسخة في دير السيّدة للرهبان الكلدان قرب القوش وصفها ضحيّةُ الهمجيّة التركيّة السيّد ادّي شير في المجلة الاسيويّة (J. As . 1906ª, p. 63-64) . وممّن ذكروا ربّان هرمزد واطرأوا اعمالهُ يشوعدناح احد كتبة القرن الثاني عشر في كتابهِ العفّة (J. - B. Chabot : *Le Livre de la Chasteté. p.* 48 n° 88) ويشوعياب ابن المقدّم السابق ذكرهُ وعمنوئيل الباجرمي (الكنز الثمين للقرداحي ص ١٤٢ – ١٤٤) وآدم العقراوي (فيهِ ص ١٠١ – ١٠٤)

فكلُّ هؤلاء اطلقوا العنان ليراعهم ليشيدوا بذكر ربّان هرمزد ويطرئوا اعمالهُ نظماً ونثراً ما يدلُّ على عظم موقعهِ في نفوسهم . على انَّ في تواريخهم اقوالاً متضاربة وروايات ضعيفة يردُّها الانتقاد الصحيح نسبها اليهِ اهلُ ملّتهِ دون تروٍّ فنروي منها هنا ما نراهُ اقرب الى الصواب

خلاصة سيرة ربّان هرمزد

ولد هذا الرجل البار في مدينة شيراز في القسم الثاني من القرن السادس من عائلة مسيحيّة عريقة في الشرف واليسار شهيرة بالاحسان الى الفقراء . ثمَّ انكبَّ في وطنهِ على درس العلوم . ولمّا بلغ العشرين من عمرهِ هجر بيت ابيهِ واقبل الى بقعة آثور المشتهرة يومئذٍ بازدهار دينها وانتظام اديرتها العديدة . . وفكّر اولاً في السفر الى

اورشليم لزيارة الاماكن المقدسة . الا انهُ لقي في طريقهِ اذ كان في مدينة الموصل ثلثة رهبان من دير عدتا الشهير اشاروا اليهِ بالترهب في ديرهم فرضخ الى مشورتهم ورافقهم الى دير عدتا . قبلهُ رئيسهُ ربان سبريشوع وبعد الامتحانات المألوفة البسهُ الاسكيم الرهباني وضمّهُ الى مبتدئيهِ وكان عدد الرهبان لا يقل عن ٢٦٩ راهباً

اخذ هرمزد يثابر بكل نشاط على سائر الاعمال التقوية والفضائل المسيحية حتى برز في القداسة على كل اقرانهِ ونال بين اخوتهِ ابتدح المعلى في السيرة الرهبانية . وقد روى لهُ مؤرخو حياتهِ عدة معجزات جرت على يدهِ من طرد شياطين وشفاء مرضى وآيات اخرى يرويها اهل القرى المجاورة لديرهِ الى يومنا هذا

وبعد ٣٢ سنة قضاها في العيشة النسكية . عاش منفرداً في محبسة قريبة من دير عدتا بمشورة سلوانس اسقف كردو ومارس كل التقشفات من صوم وصلاة وسهر مما يروى عن كبار المتنسكين فشاع ذكرهُ في كل تلك الانحاء وتضاعفت كراماتهُ

وبعد سبع سنوات صرفها في محبسهِ اوحى اليهِ الله ان يذهب الى دير آخر يعرف بدير الرئيس قريباً من قرية «قناء» في قضاء العمادية . وصحبهُ الى الدير المذكور ستة رهبان سبق لنا ذكرهم فاقاموا معهُ في دير الرئيس ست سنوات بممارسة الآداب الرهبانية وبعد ذلك دعاهُ الله الى ان يبارحهُ ويتجه الى جبل بيت عذرا فأوى هناك مدة في مغارة تُرى الى اليوم فما لبث ان انتشر عرف فضلهِ فقصدهُ الناس ليتبركوا بهِ ويطلبوا منهُ شفاء عاهاتهم فلبّى دعاءهم . وبلغ خبرهُ امير الموصل المسلم وكان ابنهُ مريضاً فأبرأهُ وقيل انهُ مات فأحياهُ فأتت من جرّاء ذلك الحسنات لربان هرمزد واقطعهُ الامير ارضاً باشر فيها بتشييد ديرهِ الى أن انجز عملهُ وذلك نحو السنة ٦٤٠ للميلاد

وقد جرت لهُ في اثناء ذلك مناصبات جمّة من قبل اليعاقبة الساكنين في تلك الانحاء فاضمروا لهُ الشرّ وحاولوا قتلهُ لكنهُ انتصر منهم وسكن آمناً في ديرهِ فاقبل اليهِ الرهبان ليقتدوا بآثارهِ حتى اناف عددهم على المئة . وعاش هرمزد في هذا الدير الجديد ٢٢ سنة ذات في شيخوخة صالحة وبلغ من العمر ٨٠ عاماً

دير ربان هرمزد بعد مماته

بقي دير ربان هرمزد عدة قرون عامراً مزهراً مركزاً للسيرة الفضلى حافلاً بالرهبان

ومشاهير الرجال نبغ منهم علماء عاملون اشتهروا بفضلهم وتآليفهم ورَدَ في كتاب يوحنا برخلدون احد رهبان هذا الدير في القرن العاشر ذكرُ نحو ثلثمائة منهم (١ . وممن احرز له بينهم اسماً طيباً لاسيما بسعيه لتجديد رابطة الولاء بين طائفة الكلدان والكرسي الرسولي يوحنا سولاقا احد رهبان دير مار هرمزد في اواسط القرن السادس عشر. وقع عليه الاختيار لتدبير البطريركية البابلية بعد وفاة شمعون الخامس سنة ١٥٥١ فسار الى رومية حيث قدّم الطاعة للكرسي الرسولي واقتبل السياميذ من البابا يوليوس الثالث فكان ذلك السببَ لقتله اذ كاده النساطرة في ديار بكر عند عودته فمات شهيد الايمان الكاثوليكي

وقد تقلّبت احوال هذا الدير بآفات الزمان وحيف السلطان لاسيّما في عهد تيمورلنك ثمّ في زمن الدول التركانيّة اذ أُصيبت اقطار الموصل بضربة معضلة فكانت الاديرة اوّل ما يحتلّهُ الاعداء وينهبونهُ ويضربون رهبانهُ . لكنّ رهبان دير ربّان هرمزد بعد هدوّ الامور كانوا يسرعون فيعودون الى عيشتهم الصالحة . لنا على ذلك بعض الشواهد في مخطوطات الدير فانّ ربّان ايشوع احد كهنتهِ استنسخ كتاب الايثيقون سنة ١٧٢٢ برسم اخوتهِ . ومنهُ يستدلّ على انّ الدير المذكور في ذلك العهد لم يزل مأوًى للنسّاك والزهّاد .

وعندنا انّ خرابهُ تمّ بعد ذلك بقليل في عهد طهماسب كولي خان ملك العجم المعروف بنادرشاه اذ اغار بجيابه ورجلهِ دفعتين اي السنة ١٧٣٢ والسنة ١٧٤٣ على الموصل وبلادها الى جزيرة بني عُمر فقتل النصارى وسبى النساء والصبيان ودمّر المدن والقرى وحوّل بقعة اثور العامرة الى اراضٍ قفرة ينعق البوم فوق اطلالها . ووضع يدهُ على الاديرة واخذ رهبانها بحدّ السيف ونهبها واخربها . من ذلك دير مار اوراهام المادي (٢ ولا يبعد عنهُ دير ربّان هرمزد فاصابهُ ما اصاب دير مار اوراهام وظلّ هذا الدير خراباً نحو ٦٥ سنة

١) اطلب كتابهُ المنشور في مجلة الشرق المسيحي J. B. Chabot: Vie du moine Rabban Bousnaya, *ROC.* 1897-1898

٢) هذا الدير واقع قريباً من قرية بطناي وبقي مهجوراً خراباً الى ان عاد غبطة السيّد الجليل مار يوسف عمانوئيل توما بطريرك الكلدان الكلّي الطوبى فجدّد ابنيتهُ وتكلّف عليهِ النفقات البالغة ليجعلهُ مركزاً للكهنة لكافة القرى المجاورة ثمّ مدرسة داخلية راقية للعلوم والصنائع مع مطبعة لخدمة ملّتهِ

تجديد دير ربان هرمزد

كان تجديد دير ربّان هرمزد في اوائل القرن الماضي سنة ١٨٠٨ على يد رجل كلداني كاثوليكي من تجار ماردين واشرافها اسمهُ جبرائيل دنبو فهذا اذ كان يزاول في حلب امور التجارة اجتمع فيها برهبان الترنج فشعر بدعوة من الله الى ان يقتفي بآثارهم فطلب الترهّب بينهم الّا ان احدهم اشار اليه بان يُنهض في وطنه العيشة الرهبانيّة ويدعو اليها اهل جلدته. فكانت تلك المشورة له كصوت الله لكنهُ لم يدرِ كيف يتمّمها. ثمّ واصل اشغالهُ التجاريّة الى أن ادّت بهِ الى البصرة وهناك أُصيب بمرض عضال كاد يودي بحياته فنذر نفسهُ لخدمتهِ تعالى وآل على ذاته ان شُفي ليتّخذنّ رهبنةً لخلاص النفوس. فخفّت عنهُ وطأة المرض وعوفي تماماً بعد ايام قليلة فودّع العالم وحطامهُ وشخص الى لبنان حيث قضى بضع سنوات في دير القديس انطونيوس قزحيا حتى اتقن قوانين الرهبنة ثمّ عاد الى الموصل ليخرج فكرهُ الى حيّز الوجود تحت راية القديس انطونيوس وقانونهِ الذي ثبّتهُ الكرسيّ الرسولي بعد ذلك لرهبان دير ربّان هرمزد سنة ١٨٤٤

فلمّا وافى جبرائيل دنبو الى الموصل انضمّ اليهِ بعض الاتقياء ليجروا على مثاله ثم حظي بلاقاة مار يوحنّا هرمز مطران الموصل وطلب منهُ ان يعطيهم دير ربّان هرمزد ليجدّدوا فيهِ الحياة الرهبانيّة وعضدهم في طلبهم الاخوان الدومنيكيّان رافائيل ويوسف الّا ان السيد المطران تمنّع من ذلك لئلّا يخرج الدير من ملك العائلة الابويّة التي منها وحدها كان يقوم البطاركة والمطارين وكان اصحابه قد ضبطوا املاك الدير واستخدروا لانفسهم ريعها

فالتجأ جبرائيل اذ ذاك مع رفقتهِ الى حنانيشوع مطران العمادية الذي كان دير ربّان هرمزد واقعاً في ابرشيّتهِ وهو ايضاً من العائلة الابويّة فاعطاهم مفاتيح الدير. فملأ الفرح قلوبهم وشكروهُ تعالى على هذه النعمة

ولمّا كان يوم الثماني سنة ١٨٠٨ خرج دير ربّان هرمزد من سُباتهِ العميق وتجدّدت فيهِ حياة رهبانهِ الاقدمين بشخص الفاضل جبرائيل دنبو ورفقتهِ واخذ الطلبة يتواردون اليهِ من القرى المجاورة لينخرطوا في سلكه . وكانت حياتهم

الصالحة تحبّبهم الى قلوب الجميع وهم يعيشون في الفقر والشظف من حسنات المؤمنين لا يكترثون لامور العالم الّا لخلاص القريب بامثالهم وارشاداتهم. فقضوا هناك ثلث سنين بممارسة كلّ الفضائل المسيحيّة. وكانوا في ايام الآحاد والاعياد ينزلون الى ألقوش لحضور الرُّتب الكنائسيّة. وكان جبرائيل رئيسهم لم يزل شمّاساً فاضطرّوهُ الى ان يقبل الكهنوت ويصير مرشدهم فسامهُ المطران سمعان كاهناً سنة ١٨١١ فما لبث ان نما عدد رهبانه حتى تجاوز الخمسين بينهم الكهنة والاخوة الشمامسة

غير انّ الاعمال الخيريّة التي تنشأ بدافع ربّاني كثيراً ما تعارضها الصعوبات وتعتورها العقبات ليُظهر الله قوّتهُ بظفرها على كلّ اعدائها ويزيد اصحابها ثقةً به تعالى. وهكذا جرى لهذا المشروع الجليل فانّ بعضاً من ذوي الاغراض والمطامع ادركوا انّ املاك الدير واوقافهُ اوشكت ان تخرج من ايديهم لازدياد عدد الرهبان وميل عامّة الشعب اليهم واخذه بناصرهم فحاولوا غير مرّة ان يُخرجوا الرهبان من الدير بالمكر والخداع والتهديد فلم يبلغوا غاية. فعمدوا حينئذٍ الى استعمال العنف والشدّة فالتجأوا الى حاكم العاديّة وشكوا اليه الرهبان كمغتصبين لمال غيرهم فارسل الحاكم بعض رجاله الى الدير فاوسعوا الرهبان سبّاً وضرباً ثمّ انزلوهم منه وألقوا الاب جبرائيل في السجن. امّا الرهبان فلبثوا في كنيسة القوش مثابرين على دعوتهم وعلى سائر فرائضهم التقويّة

وفي تلك الغضون اصاب مطرانَ العاديّة حنا ينشوع مرضٌ شديد حسبهُ عقاباً من الله لنفي الرهبان من ديرهم فلمّا احتضر اوصى ذويه بهم وامرهم ان يسلّموا مفاتيح الدير الى الاب جبرائيل فأنفذوا وصيّتهُ بعد موته

الّا انّ عدوَّ الخير لم يدعهم في خلواتهم السعيدة يمجدون الله مع الملائكة فانّ المصائب ما زالت تتتابعهم الواحدة تلو الاخرى. منها ان محمد بك امير راوندوز المعروف بمير كور قدم الى الموصل سنة ١٨٣٢ قاصداً ان يستولي عليها ولمّا خاب مسعاه في ذلك اخذ يطوف بعساكره بين القرى المجاورة وينهب ويقتل حتى اقبل الى القوش قرية ناحوم النبي فنهبها نهباً فاحشاً ثم اعمل فيها السيف وقتل كبارها وصغارها ولم ينجُ من سيفه الا النفر من الذين لاذوا بالهزيمة الى الجبل المجاور ثم قصد رجالهُ دير ربان هرمزد فنهبوه نهباً ذريعاً وثاوروا رهبانه بالخناجر. وفي هذه النكبة قُتل مؤسس

الرهبنة او عجدّدها الاب جبرائيل دنبو فاختضبت تلك الاراضي بدم الابرياء. ولنقس دميانوس الالقوشي قصيدة ضافية الابيات في اللغة الكلدانية يصف ويلات تلك الكارثة ومظالم الطاغية ميركور (١

رهبان دير ربان هرمزد بعد وفاة منشئهم

وبعد هدوء هذه الزوبعة الهائلة عاد الرهبان الى ديرهم فألفوه منهوباً مهدوماً فشرعوا يرمّمون الاخربة التي سيّما اولئك القشمة واخذوا يزاولون الاشغال الشاقة ملاقاةً لمعيشتهم واملوا ان غيوم الاضطهادات انقشعت لكنّ امتحانهم لم يكن قد انتهى بعدُ فان اولئك الاوباش كالذئاب الضارية لم يشبعوا من التنكيل بهم وقد يسمح الله تعالى للاشرار ان يكونوا آلة لامتحان الابرار لتظهر فضيلتهم كالبدر في الليلة الظلماء فتزداد مجداً وبهاء

كان رهبان هذا الدير متقدين بغيرة رسولية على الايمان الكاثوليكي وكانوا يسعون سعياً لا يعرف مللاً في سبيل نشره وتركيز اعلامه بين ظهراني قومهم فقاسوا في جهادهم مشقّات شتى ولاقوا اهوالاً تشيب لها الاطفال

ان اعداء الكثلكة الألدّاء اصحاب الحزازات كان يسوءهم تقدم الدير ونجاحه وقد رمدت اعينهم الحاسدة بما رأوه من هولاء الرهبان القائمين بوجه الشرّ فحملوا عليهم بجيش من الاكاذيب والاراجيف وشكوهم الى الحكّام ورشقوهم بنبال الافتراءات واطمعوهم بغناهم وثروتهم الطائلة مع ما هم عليه من الفقر اذ لم يكن لهم الاّ القوت الضروري فقاسوا من حكام العمادية الاكراد الظلمة انواع العذابات المبرّحة من حبس وضرب واغتصاب الى غير ذلك ممّا يطول شرحه

وفي سنة ١٨٤٢ عصى اسماعيل باشا احد اغوات الجبل على محمد باشا اينجه

١) قد كتب بالكلدانية الاب الشماع احد رؤساء رهبان ربان هرمزد اخبار الدير منذ دخلهُ الاب جبرائيل دنبو ورفقتهُ سنة ١٨٠٨ الى سنة ١٨٣٢ لما قتلهُ محمد باشا والي راوندوز. ومن تاريخه هذا نسخة في مكتبة ذلك الدير وعنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقية التي ترجمها الى الفرنسوية المسيو موريس بريار (Maurice Brière) ونشرها في مجلة الشرق المسيحي في بعض اعداد السنتين ١٩١٠ و١٩١١ (ROC, XV, 1910, p. 410-424, et XVI, 1911 115-128, 249-255, 345-356)

ل. ش

بيرقدار والي الموصل مستقلاً بحكم العمادية فانتشبت بينهما حرب عوان دارت دوائرها على اسماعيل باشا فتفرقت جموعه شذر مذر. ثم عاد فلمّ شعث رجاله واقبل بهم قاصداً الموصل فلمّا وصل الى قرية القوش هاج عليها كالاسد الزائر ونهبها وقتل من اهلها نفراً غير يسير ثم انفذ رجالاً فكبسوا الدير والقوا القبض على الرئيس الاب حنا الذي خلف المؤسس الاب جبرائيل دنبو واوثقوه مع بعض رهبانه ولاذ غيرهم بالهزيمة الى الجبل. وبعد ما فرغ اسماعيل باشا من نهب القوش صعد الى الدير بصحبة احد المعادين لاهله ليدلّه على الخبايا المزعومة والخزائن الموهومة فامر اسماعيل باشا باحضار الرهبان الموثقين ومثّل بهم من تباريح العذاب ضرباً وكيّاً بالنار الى غير ذلك

ثمّ سمع بقدوم عساكر الموصل فخاف ان تحتاط به وتمسكه فنهب ما وجده في الدير من اثاث وآنية كنائسية واستاق معه الرئيس والرهبان مكبّلين بالاغلال الحديدية الثقيلة وسار بهم الى العمادية حيث توفي في السجن الاب حنا الرئيس لشيخوخته ولما اصابه من التعب واللغوب والضرب العنيف اثناء الطريق والبقية لبثوا في السجن حتى همدت الغائلة بانكسار اسماعيل باشا فأفرج عنهم. ولم تكن هذه الضربة الهائلة قادرةً على تشتيت شمل الرهبان وزعزعة اركان اسالهم الوثيقة بالله تعالى فانهم بعد انقشاع هذه الغيوم وبزوغ شمس الامن عادوا الى ديرهم فانفسح لهم المجال الواسع للشغل في كرم الرب فاشتغلوا وافلحوا واحرزوا للكنيسة من اتعابهم اثماراً جنية

فضل رهبان دير ربان هرمزد على الدين والوطن

ان الفوائد التي اتت من رهبان هذا الدير بعد تجديده هي جمّة منها :

اولاً اصلاح حالة الاقليروس الذي كان ثمّ قد انحط انحطاطاً محسوساً فكان الكاهن المتزوّج يشتغل في امر معيشته وتدبير بيته صارفاً وقته في مهنة او صناعة طلباً للمعاش وقلّما كان يتصرف الى القيام باعباء وظيفته الكهنوتية فنتج من ذلك ان الجهل لم يشمل فقط السذج من العلمانيين بل تعدى الى القسم الاعظم من الاقليروس نفسه. نقول هذا عن زمن البطاركة الابويّين اي قبل ان يتخرج الكهنة في المدارس الكهنوتية فكان الكاهن لا يعرف من علم الدين النظري والادبي الا

بعض المبادئ الاوليّة مع تلاوة الفرض والقداس الالهي ولهذا كان الشعب جهلاً في التهذيب الديني . فلما نشأ رهبان هذا الدير انصبّوا على مطالعة الكتب والدروس وعكفوا على ممارسة الفضائل ثم خرجوا وتفرّقوا في البلدان وبثّوا مبادئ الدين القويم وافتتحوا المدارس لتعليم الاحداث وهذا ثابتٌ ممّا يُذكر عن بعض كهنة هذا الدير وما كان لهم من التأثير الجميل في نفس الشعب الى اليوم كالقس رومانوس والقس دميانوس والقس باسيليوس وغيرهم كثيرين

ثانياً ان رهبان هذا الدير سعوا في الغاء قاعدة تقليد المنصب البطريركي لافراد العائلة الابويّة اذ كان رجال هذه العائلة يتسنّمون السدة البطريركيّة تُراثاً خلفاً عن سلف بصرف النظر عن كفاءتهم واهليتهم لها في ادارة الشؤون . وليس ذلك فقط بل كان البطريرك الابويّ يقيم المطارين من المقرّبين اليه من عائلته ويسلّمهم الابرشيّات المهمّة واذ كان اكثرهم من الذين لا كفاءة لهم نتجَ انهم تركوا الامور على عواهنها حتى فسد حال الطائفة وتولّدت فيها النزاعات التي ساقت الشعب الى القلق واختلاق الاحزاب. فلمّا نبغ رجال هذا الدير وامتازوا بعلومهم وفضائلهم وعُرفوا بسياسة الشعب وتدبيره على اصلح مبادئ الدين الكاثوليكي مال الناس اليهم كل الميل ورشّحوهم الى المطرنة حتى اشتهر من مطارنتهم في وقت واحد تقريباً المطران لورنسيوس شوعا والمطران يوسف اودو والمطران باسيليوس اسمر والمطران اغناطيوس دشتو والمطران بولس شميّا والمطران يوحنا تمرز ومار يعقوب ابراهام فخدموا الطائفة خدماً جليلة في حين ازمتها الشديدة ثم قبضوا على ناصية الامور ومالأ اتفاقهم ووحدةُ رأيهم ارادةَ الكرسي الرسولي المقدس على الغاء قاعدة التراث وجعل المنصب البطريركي انتخابياً بتصويت مطارين الطائفة كما هي القاعدة فنجح هذا المسعى الاساسي في الاصلاح وأُلغيت تلك القاعدة التي كانت ضربة مهولة اوشكت ان تقضي على حياة هذه الطائفة المجيدة في تاريخها . وكان آخر البطاركة التراثيين البطريرك يوحنا هرمز واول البطاركة الانتخابيين البطريرك نيقولاوس زيّا سنة ١٨٣٩

ثالثاً ان كهنة هذا الدير بذلوا قصارى جهدهم في نشر مبادئ الكثلكة وتأييد تعاليمها المقدّسة وهم من خيرة الذين تمسكوا بعراها اشدّ التمسك وعضدوا روحها وتفادوا في سبيلها حينما كانت روح التعاليم والتحزب الذميم حيّة في القلوب عاملة في

العقول . فلما قام رجال هذه الرهبنة وظهروا متسلحين بالعلم والفضيلة اذعنت لهم عقول اخوانهم فساروا يعظون ويعلّمون المبادئ الكاثوليكية القويمة بين ظهراني شعبهم في العراق واثور وفي جبال الهكارية الممتدة الى وان وفي سائر القرى المجاورة ومـا زالوا على ذلك حتى انتشرت هذه الفكرة ورسخت الكثلكة في العقول وانتشرت بسائر مبادئها الدقيقة وتعاليمها الصحيحة . فاثنى القصّاد الرسوليون في تلك الآونة على الهمّة التي بذلها هؤلاء الرهبان في نشر الايمان الكاثوليكي ويُرى من هذه التقارير في مجلة « السنة الدومنيكيّة » اورد بعضها الاب مارتان في كتابه تاريخ كلدو . والى اليوم ما زال الكهنة الرهبان اخلاف اولئك الافاضل يشغلون رسالات قرى الجبال المتقطعة الصعبة على انّ لهم في قلوب الأكراد المسلمين حرمةً جزيلة تقليديّة بحيث لا يجسر احدهم ان يعدّ عاديةً الى الرهبان ولا الى ما ينتمي اليهم

يكتفي اولاد ربان هرمزد المعروفون اليوم برهبان دير السيدة بمعرفة أهمّ الدروس الدينيّة وحفظ الكتاب المقدس حفظاً تاماً والتضلّع في اللغة الكلدانية والعربية ويقضون قسماً مهماً من نهارهم في الصلاة الحارّة ثم يعتنون في الاشغال المتعلقة في ادارة املاك الدير من اراضي ومزارع وارحاء وغيرها ويبلغ واردهم السنوي مبلغاً كافياً لا يصرفون منه لمعيشتهم الاّ النزر اليسير اذ ان حياتهم قشفةٌ شظفة وباقي الوارد يُصرف بسخاء حاتميّ على الفقراء من عطلة وارامل واطفال يتجمهرون كل صباح امام باب الدير فيخرج اليهم راهب بمأكلهم اليومي وبملبسهم عند الحاجة . وقد امتاز الرهبان باكرام الضيوف الذين يتصدونهم جماعات من مسافرين عابرين ومن زائرين فيطلونهم على السعة والرحب ويحسنون قراهم ويقومون بحق الضيافة احسن قيام . وهم لا يعطون لقاء ذلك شروى نقير . وما تنتهي سنتهم الادارية الاّ ويكونون قد صرفوا في سبيل ذلك واردهم السنوي

امّا مزاياهم التي عُرفوا بها فسلامة القلب ونزاهة النفس وبساطة المعيشة وهم يتفانون في عمل الخير ويتنهزون كل فرصة ممكنة لتسلية المنكوبين ومساعدة المحتاجين . واليوم تؤمّل طائفة الكلدان نجاح هذا الدير وما يتعلق به من الاديرة الصغيرة بهمة الرئيس العام على اديرة الكلدان الاب الجليل القس يوسف داديشوع الجزيل الاحترام المتخرج في المدرسة الكهنوتية البطريركية في الموصل ويؤملون بمساعيه نهضة علمية

والاقتصادية توافق رغبة واهتمام السيد النبيل والراعي الاثيل مار عمانوئيل توما بطريرك الكلدان الكلي الطوبى في تقدم هذه الاديرة ورقيها وهو يعدّ هؤلاء الرهبان كابطال الامّة ودعامة بنائها الراسخ المكين

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حرف التاء

١٦١ ﴿تاودورس﴾ الاسكندري . لم نقف على زمانهِ . لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة (ع ١١٢) كتاب آداب دينيَّة في ٣٥ فصلاً وجَّهه الى ابنهِ فرج‌الله غربال تاودورس اسقف حرّان (اطلب ابو قرّة)

١٦٢ ﴿تاوفيلوس﴾ البطريرك الاسكندري المتوفَّى سنة ٤١٢ م . لهُ في مخطوطات مكتبة باريس عدَّة ميامر في خميس الاسرار (Paris, 68 et 143) ومن هرب السيّد المسيح الى مصر (II n° 135) وفي مديح الرسولين بطرس وبولس وفي التوبة وفي القديس اثناسيوس (ROC. XIV, 1909, pp. 150, n° 4771) وفي مديح الملاك ميخائيل (ib. p. 342 n° 488)

١٦٣ ﴿تاوفيلوس﴾ اسقف فسطاط مصر . لم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ . ورد في احد مجاميع مواعظ وميامر في مكتبتنا الشرقيَّة (ع٦١) ميمر في فضيلة الصوم ليوم الثلثاء للسنة الاولى منهُ «لابينا البار تاوفيلوس اسقف فسطاط مصر»

١٦٤ ﴿تردي﴾ الاب اوغسطينوس الرسول اليسوعي (Aug. Tardy) المتوفَّى في بيروت سنة ١٩٠٨ . لهُ في مكتبتنا اوراق منثورة شتَّى منها دينيَّة ومنها علميَّة . وقد نشر في مطبعتنا الكاثوليكيَّة كتاب جداول الافعال العربيَّة وكتابين في الحساب مختصر (سنة ١٨٨٠) ومطوَّل (١٨٩٥) مع حلّ مسائل حالية الطلّاب

١٦٥ ﴿الترك﴾ نيقولا بن يوسف نديم الامير بشير الكبير توفي سنة ١٨٢٨ (اطلب ترجمته في كتابنا الآداب العربية في القرن التاسع عشر ١ : ١٧-١٨ و ٣٦-٤٠) من مآثره : ١ً ديوانه الكبير في ٤٠ صفحة منه ثلث نسخ خطيّة في مكتبتنا الشرقيّة . ونسخة في مكتبة باريس (Paris, Ms 3272) ونسخة في بيت المرحوم يوحنّا عورا . لم يُنشر منه الّا نُتَف قليلة خصوصاً في مجلّتنا المشرق . ٢ً احدى عشرة مقامة عارض فيها اصحاب المقامات راويها الحازم من ابي النوادر . هي مُلحقة بنُسخ ديوانه . وهناك ايضاً نظمٌ لعدّة مزامير من زبور داود . ٣ً له تاريخ حسن ضمَّنهُ اخبار زمانه وحوادث فرنسة من موت لويس السادس عشر الى وفاة نابوليون الاوّل في نحو ٤٠٠ صفحة . منهُ نسخة في بيت المرحوم الدكتور اسكندر بارودي . ونسخة في مكتبة باريس (Ms. 1857) . قد طبع سنة ١٨٣٩ قسمهُ الاوّل المحتوي على بعثة نابوليون الى مصر مع ترجمته الفرنسويّة للمسيو ديغرانج (Desgranges) ولم يزل القسم الثاني مخطوطاً . ٤ً في مكتبة مونيخ في بافارية (Munich, Cod. ar. 428) وفي مكتبتنا الشرقيّة تاريخ احمد باشا الجزّار في ١٢٦ صفحة لم يذكر اسم مؤلّفه . والغالب على ظنّنا انهُ لنيقولا الترك . ٥ً وكذلك تاريخ آخر عنوانهُ مجموع حوادث الحرب الواقع بين الفرنسويّة والنمسويّة في اواخر السنة ١٨٠٥ م طُبع في باريس سنة ١٨٠٧ ينتهي بانتصار نابوليون في أُستِرلِتس . يُرجح انهُ لنيقولا الترك وان لم يُذكر اسم كاتبه . ٦ً ومثلهُ ايضاً كتاب في مكتبة باريس (Fonds arabe. n° 1684) عنوانهُ «نزهة الزمان في حوادث لبنان» يحتوي تاريخ الامراء الشهابيين منذ قدومهم من الحجاز الى ايام الامير بشير الشهابي ينتهي بوفاة الامير يوسف سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م)

١٦٦ ﴿تريزيا﴾ القديسة منشئة الراهبات الكرمليات توفيت سنة ١٥٨٢ . يُروى لها في العربيّة : ١ً كتاب سيرة القديسة تريزيا لنفسها عرّبها احد الآباء الكرمليين (الاب سلستينوس دي سنت لودوينة) منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . وفي مكتبة الدار الاسقفيّة الارثذكسيّة في حلب سيرة القديسة تريزيا «وضعها بالعربيّة البادري رئيس الرهبان الكرمليين في حلب» نحو ٢٧٠ صفحة (راجع مجلة النعمة ٢ : ٦١-٣٦٦) . ٢ً كتابها المعروف بقلعة النفس نقلهُ الى العربيّة القس يوسف الباني الحلبي من

الايطاليّة سنة ١٧١٩ . منهُ نسخة في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ٣ً كتاب تأمّلاتها السبعة على سبع طلبات الصلاة الربيّة لسبعة أيّام الاسبوع وبعد كلّ تأمل مناجاة مع الله . لم يُذكر اسم معرّبهِ . منهُ نسخة عند الخوري بطرس فرج صفير تاريخها سنة ١٧٣٨ . ونسخة اخرى في بيت الاديب نقولا أيوب مخطوطة سنة ١٧٤٩ . ونسخة ثالثة عند الشمّاس شكري أيوب في حلب كتبها يوسف فرنسيس مشحور المارونيّ سنة ١٨٢٨ . ٤ً كتاب الجُمَل المفيدة في النفس السعيدة اقتطفها احد الرهبان الكرمليين من اعمال القديسة تريزيا في ١٣ فصلاً من سيرة حياتها لنفسها ومن كتابها منهج الكمال ومن قلعة النفس ومن كتابها تأسيس الاديار وكتابها في محبّة الله الخ . من هذا الكتاب النفيس نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقيّة صفحاتها ٢٨٢ كتبت في حلب سنة ١٨٣٧ . ومنهُ نسخة عند المنسنيور الخورفسقف جرجس شلحت تاريخها سنة ١٨٤٨ . ٥ً كتاب تأمّلات النفس الى الله من تآليف القديسة تريزيا منهُ نسخة في مكتبة المارونة في حلب (ع ١٣٦)

١٦٧ ﴿ التكريتيّ ﴾ ابو النصر يحيى بن جرير (ويُروى جرير وجريز) الطبيب اليعقوبيّ من كتبة القرن الحادي عشر للميلاد وتلميذ يحيى بن عدي ويحيى بن زرعة (اطلب طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٤٣). لهُ : ١ً كتاب جليل يُدعى «كتاب المصباح المرشد الى الفلاح والنجاح الهادي من التيه الى سبيل النجاة» في ٤٠ فصلاً ذكر فيها معتقدات النصرانيّة واسرارها وآدابها . منهُ نسخ مختلفة في مكتبة الفاتيكان (بالكرشوني ع ٢٠٠) . وفي مكتبة اوكسفرد (Nicoll, n° 21) وفي مكتبة الكلدان في ديار بكر وفي مكتبتهم في سعرد (Cod. 135) وفي مكتبة المتحف البريطاني (British Mus., *Ellis.*, Or. 6817) وفي مكتبة دير الشرفة وعن نسختها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيّة . ثم انّ في مكتبة انتشار الايمان في رومية لابن جرير «كتاب علم الفقه واعتقاد ائمّة النصارى» ناسخهُ ميخائيل بن نعمة الملقّب بابن جرير . وهو – كما يظهر – كتاب المرشد . نُشرت من هذا الكتاب مقالةٌ في الكهنوت طبعها العلّامة كودتون في لندن وذكرها ابو البركات (Riedel, p. 651) – ونشرنا في المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٢٠–٢٤ مقالة في صلب السيد المسيح [illegible] ذكر ابن جرير لنفسه في كتاب المرشد في الفصول ١٠ و٣١ و٣٧ كتابين اختطفتهما يد الضياع

اسم الواحد «زيج التواريخ» والآخر «الفائق» . ٤ً وفي دير الزعفران كتاب قوانين بيميَّة منسوبة اليه . ٥ً كتاب المختار من كتب الاختيارات الفلكيَّة في علم النجوم . منهُ نسخة في مكتبة لندن (Ellis. Or. 5708) ذكرهُ ايضاً ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٣) وذكر لهُ كتاب منافع الجماع ومضارّهِ ورسالة في منافع الرياضة وجهة استعمالها كتبها لكافي الكفاة ابي نصر محمد بن محمد بن جهير

١٦٨ ﴿ التكريتي ﴾ ابو سعد الفضل بن جرير هو اخو ابي نصر يحيى المذكور آنفاً . وصفهُ ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٣) بكثير الاطلاع في العلوم وفاضل في صناعة الطب ويقول انهُ خدم الامير نصير الدولة بن مروان . وقد ذكر لهُ مقالة في اسماء الامراض واشتقاقاتها كتبها الى بعض اخوانهِ وهو يوحنا بن عبد المسيح . وكتابهُ هذا مفقود . وكذلك فُقد لهُ كتاب آخر في الذبائح روى عنهُ اخوهُ يحيى

١٦٩ ﴿ تورنيلي ﴾ الكاهن الفرنسوي هونوره (H. Tournely) المتوفى سنة ١٧٢٩ . لهُ كتاب واسع في سائر ابواب اللاهوت النظري في ١٦ مجلداً نقلهُ الى العربيَّة الخوري انطون صبّاغ الملكي سنة ١٧٦٨ . منهُ عدَّة نسخ في حلب في مكتبة السريان وفي مكتبة الروم الكاثوليك ومنهُ نسخة كاملة في مكتبتنا الشرقيَّة

١٧٠ ﴿ التولاوي ﴾ الخوري بطرس ليكونومس كهنة الموارنة في حلب وأحد تلامذة مدرسة الموارنة في رومية المتوفى سنة ١٧٤٥ . نشر حضرة المنسنيور جرجس منش في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٧٦٩–٧٧٧) ترجمتهُ وما يعرف لهُ من التآليف . نذكر هنا ما اطّلعنا عليهِ . منها : ١ً كتاب اللاهوت في خمسة مجلّدات منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب . ٢ً لاهوت سكوتوس يوحنّا يفحص فيهِ آراء سكوتوس اللاهوتيَّة في الله تعالى والسيد المسيح منهُ نسخة في مجلّد ضخم في مكتبة دير الشير . ٣ً كتاب الفلسفة . منهُ نسخة في اربعة مجلّدات في مكتبة الفاتيكان (ع ٦٩٩–٧٠٣) . ٤ً كتاب المنطق وهو الثاني من الفلسفة . في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ ثلاث نسخ وكذلك في مكتبة الموارنة بحلب . ٥ً كتاب الايساغوجي اي مدخل المنطق منهُ نسخة في بيت الشمّاس شكري أيوب (ع ٧٢) . ٦ً كتابهُ في الطبيعيات . منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة الروم الكاثوليك وفي بعلبك وفي مكتبة الآباء البيض في الصلاحيَّة (Or.Chr. 1914, p. 118) وفي مكتبتنا الشرقيَّة . ٧ً كتابهُ

في العلم الالهيّ في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة لندن (Suppl. 41) ·
٨ً ترجمة اعمال المجمع التريدنتينيّ منهُ ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة احداهما مكتوبة في رومية سنة ١٧٦٠ بقلم القسّ اثناسيوس دبّاس · وفي مكتبة الموارنة في حلب · وكذلك منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع٦٢٨) ويدعى هناك صاحبها (Petrus Oliva) · وفي هذه النسخة اعمال المجمع الذي عُقد في قنّوبين بحضور الاب دنديني سنة ١٥٩٦ بقلم بطرس المذكور · ٩ كتاب السيرة الرهبانيَّة في خمسة اقسام يحتوي القسم الاوَّل تأمّلات روحيَّة لأيام الشهر والقسم الثاني ١١ تأمّلًا في الرهبانيَّة وشرفها ونذورها · والثالث ١٢ تأمّلًا في الكهنوت وواجباتهِ · والرابع عشرة تأمّلات في الفضائل · والخامس الاخير سبعة تأمّلات في الخطايا الروسيَّة · من الكتاب نسخة في مكتبة الموارنة في حلب ونسختان في مكتبتنا الشرقيَّة احداهما اكمل واقدم صفحاتها ٢٨٨ (اطلب المشرق ٦ [١٩٠٣] : ١٠٠٦) · ١٠ً كتاب في الصلاة العقليَّة وتمرينها مع ١٥ تأمّلًا في الحقائق الابديَّة وثلثة فصول ونصائح · منهُ نسخة ايضاً في مكتبتنا (ص ٢١٨) · ١١ كتاب مرآة النفوس في الرياضة الروحيَّة · منهُ نسخة في المكتبة المارونيَّة بحلب ونسخة اخرى في مكتبة دير الشرفة · ١٢ً سيرة توما الكمبيسي الّفها سنة ١٧٠٥ · منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع٣٨٦) · ١٣ً غولماطيق سرياني · في المكتبة المذكورة وفي بيت شباب عند الاديب ميخائيل حائك · ١٤ً ثلثة مجامع مارونيَّة نشرها المنسنيور برجرمنش في جونية سنة ١٩٠٤ · وذكر لهُ حضرتهُ كتباً أخرى لم نطّلع عليها كمجموعة دعوى السيّد حوّا وتأمّلات لمدار أيام الاسبوع ورسالة في عبادة الورديَّة وردّ على قضايا الروم الخمسة وتأمّلات توما الكمبيسيّ ومختصر في الكمال الروحاني دعاهُ النهج القويم لبغية النعيم · ولعلّ لهُ كتباً أخرى مفقودة وكفى بما ذكرنا منها دليلًا على طول باعهِ وسعة علومهِ

١٧١ ﴿توما الاكوينيّ﴾ القديس الدومنيكاني شمس المدارس المتوفّى سنة ١٢٧٤ · ١ً عرّب كتابهُ الشهير الخلاصة اللاهوتيَّة المطران الموصليّ اسحاق بن جُبَير المتوفّى في رومية سنة ١٧٢١ (راجع العدد ٩٢ وفيهِ ذكر تآليفهِ وراجع في المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٢٨٦–٢٩١ ترجمة حياتهِ) · وقد ذكر حضرة الاب انستاس الكرملي في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٨٣٩) ترجمة اخرى لاحد الآباء الكرمليين ولم يُرد ايضاحاً ·

وكلّ يعرف فضل السيّد الجليل المطران بولس عوّاد بما تولّى تعريبهُ من هذه الخلاصة في خمسة اجزاء . ٢° ومما عُرّب حديثاً من اعمال القديس توما كتابة « الخلاصة الفلسفيّة » ضدّ الامم عُني بتعريبهِ الخوري العلّامة الفاضل جرجس فرج صفير (راجع ما كتبنا في ذلك في المشرق ١٧ [١٩١٤] : ١٤٤-١٤٩)

١٧٢ ﴿توما الكمبيسي﴾ الراهب المتوفى سنة ١٤٧١ مصنّف عدّة تآليف روحيّة اشهرها كتابة الاقتداء بالمسيح قد عرّب هذا الكتاب كثيرون واوّل ما طُبع من تعريبهِ ترجمة الاب الكرمليتاني شلستينوس دي ستا لودوينا طُبع في رومية سنة ١٦٦٣ . وقد ذكرنا بقيّة تعريباتهِ في المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٦٣٤-٦٣٦) يُضاف اليها ترجمة للاب اليسوعي جبرائيل ديبرك في القرن الثامن عشر منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . امّا تآليف توما الكمبيسي الروحيّة غير الاقتداء بالمسيح فقد عُني بتعريبها حضرة الخوري السريانيّ الفاضل عبد الاحد جرجي وطبعها في الموصل في مطبعة الآباء الدومنيكان في خمسة اجزاء صغيرة . وقد سبق انّ الخوري بطرس التولوي كتب سيرة حياة هذا الراهب الشهير

١٧٣ ﴿توما بن سليمان الارثدكسيّ﴾ من كتبة القرن السابع عشر . في مكتبة باريس (Paris, *Supplément arabe*, 1683) تاريخ حلب جمعهُ توما بن سليمان الارثدكسيّ من ملّة الروم روى عن تواريخ ابن بطريق والشيخ ابي ياسر واختصر خصوصاً تاريخ زين الدين احمد بن علي المعروف بالشموفي (؟) الذي اختصر تاريخ ابن شحنة كُتب سنة ١٠٨٢ هـ في شهر صفر (١٦٧١م)

١٧٤ ﴿توما دي شرمز﴾ الراهب الكبوشي الفرنسويّ (Thomas de Charmes O. C.) المتوفى سنة ١٧٦٥ ألّف في اللاتينيّة مختصراً في اللاهوت النظري والعمليّ شاع في زمانهِ فعرّبهُ السيّد اثناطيوس بطرس جروه بطريرك السريان في رومية سنة ١٨٢٦ .منهُ نسخة في مجلّدين في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في حلب. تاريخها سنة ١٨٤٦ . ومنهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسختان تاريخ الواحدة سنة ١٨٢٦ كُتبت في دير الشرفة

توما دي نوڤارا (اطلب لوبيشيني)

١٧٥ ﴿توني﴾ الكاهن لويس الايطالي (L. Togni) من كتبة القرن

التاسع عشر. نقل كتابةُ مرشد المستفحصين الى العربيةّ المرحوم الخوري بولس الدبس فطبعهُ في المطبعة العموميَّة الكاثوليكيَّة سنة ١٨٧٢ ونقلهُ الى الكلدانيَّة المطران توما اودو فطبعهُ في الموصل سنة ١٨٩٥

١٧٦ ﴿تيرزاغو﴾ السيّد نيقولاوس اسقف تارني من كتبة القرن الثامن عشر. لهُ: ١ً كتاب واسع في علم اللاهوت عرّبهُ الخوري انطون الصبّاغ ايكونوموس اكليروس الروم في حلب. وهو في عدّة مجلّدات. منهُ نسخة كاملة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة الموارنة والروم الكاثوليك في حلب واجزاء متفرّقة في بعض مكاتب الاديرة. ٢ً كتاب ارشاد عملي بخصوص مباشرة سرّ التوبة بحسب الطقس الروماني طُبع في رومية سنة ١٧٥٧ وهـذا الكتاب قد طُبع ايضاً بالكرشوني في مطبعة قزحيا ١٨٢٩

١٧٧ ﴿ تيرينوس ﴾ الاب يعقوب اليسوعي (J. Tirinus S. J.) المتوفَّى سنة ١٧٣٦ لهُ في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب كتاب شرح الابركسيس ورسائل مار بولس في مجلّدين. تعريب الخوري انطون صبّاغ. منهُ نسخة في مكتبة نقولا افندي أيوب — وفي مكتبة الروم ايضاً شرحُهُ للرسائل المعروفة بالكاثوليكيَّة

١٧٨ ﴿التيّان﴾ السيّد يوسف البطريرك الماروني المتوفَّى سنة ١٨٢٠. في احد كتب مكتبتنا الشرقيَّة في إثر كتابات المطران جرمانوس آدم كتابان للبطريرك يوسف التيان الى جرمانوس آدم ردّاً عليهِ في مزاعمهِ على الكنيسة وسلطان الحبر الاعظم تاريخهما سنة ١٧٩٦. من هذا المردود نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي دير ريفون وفي مكتبة مدرسة الصلاحيَّة في القدس (Or. Chr. 1914², p. 326-328) وفي مكتبة الشمّاس شكري أيوب في حلب

حرف الثاء

١٧٩ ﴿ثاودوسيوس﴾ اسقف جنجر. لم نقف على اخباره. في مكتبة باريس نسخة من كتابهِ في سيرة وعجائب مار جرجس (ROC, XIV. 1909, p. 280, Cod. Paris 4876)

١٨٠ ﴿ثاودوسيوس﴾ الديدسكالوس . ترجم سنة ١٧٦٥ من الرومية الى العربيَّة مع مساعدة كير مكاريوس صدقة مطران صور وصيدا عظات كير ايليا منياتي للصوم الكبير واعياد السنة . منها نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة نُخطَّت سنة ١٨٦٦

١٨١ ﴿ثاوكتيسطوس﴾ مطران حلب على الروم الاورثذكس . كتب في السنتين ١٨٣٨ و ١٨٣٩ عدَّة رسائل وفصول ارسلها الى الاب نيقولاوس العازاري المرسل بحلب محاولاً فيها الردّ على الكاثوليك بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن . من مجادلتهِ هذه ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخ الواحدة من زمن المؤلف والثانية تاريخها ١٨٥٣

١٨٢ ﴿ ثلجة ﴾ في مكتبتنا الشرقيَّة في احد مجاميع سير القديسين مع مقالات دينيَّة رسالةٌ طويلةٌ حسنة (ص ٨٥ الى ١٢٧) لكاتب عالم يُدعى ثلجه وجَّهها الى ميلاتيوس مطران حماة يصف فيها فضائل رؤساء البيعة اي الاساقفة وما يتحتَّم على رئاسة الكهنوت من الواجبات لتدبير الرعيَّة . والكتاب من مخطوطات القرن الثامن عشر . أما ثلجة فلم نقف لهُ على اثر (لهُ تابع)

الطيب الاثر

الاب مبارك المتيني اللبناني

نشرها بمناسبة تذكار وفاته السنوي

حضرة الخوري بطرس سارة الراهب اللبناني

١ الفتى

هو انطونيوس بن بطرس بن ابراهيم سلامه ابصر النور في قرية المتين احدى قرى مقاطعة المتن في ١٠ نيسان سنة ١٨٥٢ ورضع حليب التقى والفضيلة من والدين تقيَّين غرسا في قلبه محبة الله والقريب وربياه احسن تربية وهما من عائلة

سلامه (١ وكان منذ صغره مولعاً بالقراءة والتعلم فانصبَّ على درس مبادئ اللغة العربية في مدرسة قريته التي كانت تقتصر كباقي مدارس الجبل من شاكلتها على تعلم القراءة البسيطة ومبادئ الديانة وكان استاذه يتوسم فيه نجابة وميولاً الى التقوى اكثر من سواه

٢ الطالب والراهب

وما بلغ الرابعة عشرة من عمره حتى احسَّ بان الله يدعوه الى اعتناق الحالة الرهبانيَّة فلبي لساعته الدعوة وانضمَّ في سنة ١٨٦٦ الى سلك المبتدئين في الرهبانية البلدية في دير مار الياس الكحلونية حيث صرف سنتي التجربة دائباً في اكتساب الفضيلة والتمرين على الكفران بالذات واللحاق بيسوع المسيح في طريق الصليب بحفظ

١) ان عائلة بيت سلامه المعروفة اليوم في قرية الدين ومزرعة كفرديان والبادية والربانية وغيرها هي نازلة من المجد الشهير في الدين والدنيا المقدَّم ابي كرم يعقوب بن الياس موسى من حدث الجبة. فانَّ هذا المقدم تولى سنة ١٦٣٥ الحكم على جبة بشراي من والي طرابلس محمد باشا المعروف بالارناووط وبعد سياسته هذه الولاية مدة خمس سنوات بالعدل والحكمة ثار عليه قوم من المشاطرة والروم مدفوعين من الوالي محمد باشا نفسه لان المقدم ابا كرم لم يحضر لاجل السلام عليه. فتأهب المقدم لمقاتلة الثائرين وكانت ساحة القتال في قرية كوسبا وكان لديه من الحدث وحدها نحو الفي فارس وراجل واسمه تتقدَّر بالغاية فذَّان. فلما علم الوالي بقوة المقدَّم وحسن تهذُّبه للقتال عدل عن محاربته واراد اخذهُ بالحيلة فآتاه اولاً ثم وعده بهدنة الثورة وكان في فسرّ يدبّر على الايقاع به بواسطة رجل يدعى ابن صبيحا من قرية بان. فاشار هذا الخائن على الباشا ان يرسل العساكر سرًّا الى كوسبا وان يهاجم اهل الحدث ليلاً يوم الجمعة العظيمة بينما يكون الشعب كله رجالاً ونساء واطفالاً في الكنيسة في حفلة دفن الصليب. وهكذا صار فان العساكر دهمات يوم جمعة الصلبوت كنيسة التي دانيال وفتكت بالشعب الحاضر وشتّت شمل جميع من كان في القرية. لكن عناية الله رفقت بالقوم وارسلت اليهم نجدةً من اخواتهم الموارنة المشهورين بنخوتهم وبأسهم فردُّوا العساكر الى طرابلس وعاد المقدم ابو كرم الى حكمه بالامن والسلام نحوًا من عشر سنين.
وبعد هذا عاد محمد باشا يراسل المقدم المشار اليه ويؤمنه على شرط ان يدفع المال المرتب عليه فرضي ولما طلبه الوالي الى طرابلس لم يتأخر من الذهاب . واذ مثل بين يديه اخذ محمد باشا يسائله بان يدين بالاسلام فيرجعه الى بيته وولايته معززاً فلم يذعن له فطرحه مكتوفاً على « كلاليب » القلعة حيث بقي معلقاً ثلاثة ايام ومات شهيداً

١ هذه الحاشية مأخوذة مما رواه السيد الذكر العلامة البطريرك يولس مسعد وعن شيوخ عائلة سلامة المترجم بها)

المشورات الانجيليـة فاقبل بتمام رغبتـهِ ومسرّة قلبه الى ابراز نذوره الرهبانية وتخصيص نفسه لخدمة الله ولبس الاسكيم الملائكي في ١٨ ايار سنة ١٨٦٨ من يد المرحوم الاب اجناديوس المتيني الـذي كان وقتئذٍ رئيساً على المبتدئين وكان بين اخوتهِ الرهبان مثالاً بطاعتهِ وعفتهِ وفقرهِ وتواضعهِ ووداعته وصبرهِ فاذا أُمر بعمل كان يسمع صوت الآمر لكن يسمع صوت الله تعـالى فيلبّي الامر بتمام الطواعيـة مستسلماً للارادة الالهية الآمرة بشخص الرئيس

وقـد عُرف عند الجميع بنقاوة السيرة وصفاء السريرة يجاهد مجاهدة الابطال ليصون زنبقة طهارتهِ من كل ما يكدّر بهاءها ويُذوي جمالها. وكانت فضيلة الملائكة هذه قد ملكت فؤاده وظهرت متلألئة على جبينهِ فلا يراه الناظر حتى يتوسّم فيه بهاء تلك الفضيلة فيبتدره بعاطفة التكريم والاعتبار

اما الفقر فانه كان خدينه وسميره كل حياته الرهبـانية يكتفي من كل خيور الدنيا بما هو ضروري فقط من قوتهِ مستغنياً عن كل ما سوى ذلـك فيصحّ فيه قول رسول الامم: «لسنا نملك شيئاً ونحن نملك كل شيء» وتعزيزاً لهـذا النذر الشريف استقبل بملء الارتياح والرغبة تعليم الكرسي الرسولي الصادر في ٩ شباط سنة ١٨٩٥ بخصوص نذر الفقر والمعيشة المشتركة يوم كان رئيساً عاماً على الرهبانية واعتنى كل العناية بتنفيذه بالقول والمثل واذ كان يسير امام الجماهير بروح التجرد والمساواة ضانّاً بالزمان الثمين فلا يُلفى الّا مشتغلاً وموجهاً كل تعبه الى فائدة اخوته كما تفرض القوانين

اما التواضع والوداعة فانهما كانا متجسمين في شخصهِ فتشفّ احاديثهُ وحركاته منهما فانه لما استدعاه القاصد الرسولي لودفيكيوس بيانجي بطريقة سرّية ليبلغهُ امر الكرسي الرسولي بتعيينهِ رئيساً عاماً على الرهبانية على غير علم منه. سأله مختبراً اياه: أية وظيفة تريد تخدم فيها رهبانيتك؟ فقـال مبهوتاً من هذا السؤال: «اني لا اراني اهلاً لوظيفةٍ من الوظائف واذا خُيّرت في ذلك باسم الطاعة فاني مفضّل تعليم المبتدئين او تدريس اخوتي الرهبان وهما من اشقّ واهمّ وظائف الرهبانية». فاكبر القاصد فضيلتهُ وهنأه بثقة الكرسي الرسولي به

ثمّ أبرز النـذور الاحتفالية فرأى الرؤساء بعد ان خبروه وعرفوا حسن قابليته واستعدادهِ ان يضمّوه الى سلك الاخوة الدارسين في مدرسة دير مار قبريانوس كفيفان

فبقي فيها مدة. ثم انتقلت المدرسة الى دير القطاره فدير مار جرجس الناعمة وكان من جملة اساتذتها المرحوم المنسنيور بطرس ارسانيوس . فـانكبَّ الراهب الطالب على درس اللغتين العربية والسريانية وبعض مبادئ الافرنسية واللاتينية وكان في مدرسته من المتازين بفضيلتهم واجتهادهم وتقواهم فاستحقَّ ثقات رؤسائهِ فعيَّنوه الى درس العلوم السامية وارسلوه الى مدرسة الآباء اليسوعيين الاكليريكية في غزير ثمَّ الى كليتهم في مدينة بيروت يوم نُقلت المدرسة الاكليريكية اليها وفيها انهى دروسه الفلسفية واللاهوتية وكان من الناجحين فارتقى في ١٥ آب سنة ١٨٨٢ درجة الكهنوت المقدسة بوضع يد المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت

وعلى اثر ارتقائهِ الدرجة كانت الكلية قد نالت من لدن الكرسي الرسولي الانعام باعطاء شهادة الملفنة في العلوم العالية فاشار اليه الآباء اساتذته لعلمهم بكفاءتهِ ان يتقدَّم للامتحان في علمي الفلسفة واللاهوت فلم يسعه الّا تلبية الاشارة والاستعداد على القضايا المعيَّنة في لائحة خاصَّة ثم جاز الامتحان امام لجنة الفاحصين ونال استحسانهم وجميع اصواتهم وكان بكر من حازوا لقب ملفان في المدرسة الاكليريكية الشرقية وتسلم الشهادة سنة ١٨٨٣ في حفلةٍ حافلة حضرها سيادة القاصد الرسولي في سورية

٣ الاستاذ والرسول

ولم يكن له من همٍّ بعد استلامه الوزنة الّا الاتجار بها واوَّل ما كان يرمي اليه امران شغلا معظم حياتهِ هما التدريس والرسالة : فتخصَّص اولًا بتعليم المبتدئين بعد ان ورد امر المجمع المقدس سنة ١٨٨٢ الى الرهبانية بتعيين دير للابتداء (١) ومعلم للمبتدئين يكون ممتازًا بفضيلتهِ وعلمه فوكل اليه الرؤساء هذه الوظيفة المتعبة في الرهبانية باذلًا لهم الارشادات الابوية والتعاليم الصحيحة وبقي في هذه الوظيفة نحوًا من اربع سنوات وقلبه يتلهَّب بنار الغيرة على ان يقدم للرهبانية وللوطن رهبانًا صالحين ورجالًا اشداء يعرفون ان يتفانوا في خدمة الله تعالى والمصلحة العمومية .

---

(١) كان قد أُهمل الابتداء في الرهبانية من مدة لبعض ظروف موجبة والدير الذي تعين للابتداء بعد ورود امر المجمع المقدس كان دير مار جرجس الناعمة قرب قرية الدامور وهو الى اليوم مخصص لهذه الغاية مع دير كفيفان في قضاء البترون

ثم انتدب الى مهنة التدريس فكنت تراه رغم ما كان يلاقيه من المصاعب في هذا السبيل متفانياً في تلقين تلاميذه الاخوة الرهبان العلوم اللازمة لترقية عقولهم وتهذيب اخلاقهم وكان يسهر عليهم ولا سهر الأمّ على وحيدها يدبر شؤونهم الروحية ويدرّسهم هو وحده العربية والسريانية والافرنسية واللاتينية . وكثيراً ما كان يسأل اولياء الامر في الرهبانيّة تعزيز شأن المدرسة وتوفير الوسائل اللازمة لها وكان يذوب غيرةً على توسيع نطاق العلم وبثّ روح النهضة العلمية فيها موافقةً للعصر الحالي ولم يدع وسيلة الّا اتخذهـا تحقيقاً لأمنيتهِ هذه معتقداً ان بالعلم القرون بالتقوى تخطو الرهبانية خطوة كبيرة في طريق الكمال والفلاح . وكان يوصي الجميع بالاقبال على العلم ولاسيا من يرى فيهم الاهلية لذلك وكنا نراه رغم مرضه وشيخوختهِ يُعنى بتدريس الاخوة الناذرين على اثر خروجهم من الابتداء ويشربهم روح الفضيلة والعلم . وكان له في التدريس والتعليم لذّة وساوى كما اظهره مراراً بالقول والعمل . فاذا نظرنا الى ما ابداه من ضروب الغيرة والتفاني في هذه السبيـل لا نكون مبالغين في قولنا ان مرجع الفضل اليه في بثّ روح النهضة العلمية في الرهبانية كما يتبيّن في هذه الترجمة المختصرة . وكثيراً ما رأينـاه وهو مستلم زمام الرئاسة جالساً على مقاعد التعليم لدى تنيب احد الاساتذة يشرح المسائل اللغوية واللاهوتية بكل دقّة ونشاط

اما غيرته على خلاص النفوس ورغبتهُ في عمل الرسالة الشريف فحدّث عنهما ولا حرج . فانه لدى ارتقائه الدرجة الكهنوتية اخذ على نفسه بعد استئذان رؤسائه الّا يتدس الآحاد والاعياد الّا في القرى والمزارع المجاورة الاديار حيث يتسنّى له القاء الارشادات على الشعب وسماع الاعترافات والتحريض على التوبة والتقدم من مائدة الخلاص . وقد تمكن من القيام بقصده هذا حتى وهو حامل عبء الرئاسة ولم تكن تقف بوجه غيرتهِ صعوبـة في عمـل الخير . وكثيراً ما انتدبه السيـد البطريرك والاساقفة الى عمل الرسالات في انحاء الجبل فكان يذهب وملء قلبه غيرة ومسرةً جائلاً في المدن والقرى مبشراً بكلمة الله ناشراً بمثال وداعته وانضاعه رائحة المسيح الطيبة . وكان يتحرى بمواعظه التعابير البسيطة القريبة الأخذ فيتلقاها الشعب من دون عناء . وقيل له مرةً : « إنك ملفان فلِمَ هذه البساطة في كلامك وامثالك ؟ » فقال : « اني تعلّمت ذلـك من ربّ الواعظين في الانجيل الشريف الـذي بصدق عبارته

وبساطتها وتوقيع امثاله وجمالها كان وما زال نقطة الدائرة للمرسلين ولناس المدنية والعمران فحسبي ألا أحيد عنه قيد شعرة» . وكان مسموع الكلمة مهاباً يحترمه الناس ويجلون فضيلته وكثيراً ما كانوا يقيمونه حكماً لحل مشاكلهم وفصل دعاويهم وازالة خصوماتهم

ولما حاقت المجاعة والضيق بالجبل مدة الحرب الكونية قام رغم وقر الشيخوخة يعظ الناس ويعزيهم بالكلمة ويحثهم على التوبة والصبر ويقدم لهم مع الاحسان الروحي ما كانت تصل اليه يده من الحسنات المادية ويحض بصفة كونه رئيس معاملة رؤساء اديار معاملته على الاستزادة من عمل الخير والرفق بالفقير اخي المسيح . وبما انه كان مقيماً في دير مار موسى الدوار جعل هذا الدير ملجأ للبائسين الجائعين وقد وزع رئيسه من الحسنات فوق ما استطاع فاكتسب الاجر عند الله والثناء من الناس

٤ الرئيس

وبينا كان صارفاً عنايته في ما تقدم من الاعمال الخيرية تشرف بواسطة القصادة الرسولية في سورية بمرسوم كريم من المجمع المقدس يؤذن بتعيينه رئيساً عاماً على الرهبانية وذلك في ١٠ نيسان سنة ١٨٩١ فاستلم ذلك المرسوم مبهوتاً معتبراً نفسه غير اهل لهذه الوظيفة كما سبقت الاشارة عالماً ان الرئاسة عبء ثقيل ولاسيما اذا حفت بظروف صعبة . لكنه امتثل الامر معتقداً ان يمين الله تعضد ضعفه وتذلل امامه المصاعب فشمر عن ساعد الجد والنشاط واخذ يتفانى وراء خير رهبانيته وتعزيز شأنها وبث روح الاتحاد والالفة بين اعضائها والمدافعة عن حقوقها مما اكسبه ثناء وثقة اخوته الرهبان فاتفقوا على تجديد انتخابه رئيساً عاماً ثانية اي بعد مرور سنة ونصف على تعيينه من لدن الكرسي الرسولي . فعقدوا مجمعهم برئاسة السعيد الذكر البطريرك يوحنا الحاج في دير سيدة نسبيه في ١٠ ت ٢ سنة ١٨٩٢ وقرّ انتخابهم عليه فساس الرهبانية بغيرة لا تعرف الملل ونهض بها نهضة محسوسة من حيث الوجهة الروحية والادبية والمادية . فانه كان دائباً في تعزيز جانب القانون في جميع الاديار بغاية التجرد والاخلاص حاثاً الرؤساء والمرؤسين على التقيد بواجباتهم تكميلاً لنفوسهم وقياماً بالمصلحة العامة لاجل خير الرهبانية وصون كرامتها وسمعتها عند الناس

ولما رأى ان العلم المقرون بالفضيلة هو من اجل الوسائل واصلحها لتكميل

الراهب وترقيتهِ وتهذيب ارادتهِ واخلاقهِ ليكون اقدر على العمل في سبيل تمجيده تعالى ونفع القريب وعرف ان مقتضيات العصر الحالي تستلزم ألّا يكتفي الرهبان بالتنسك والتحصُّن في الصوامع بل ان يتخرجوا بالعلوم اللازمة لعمل الرسالات وتعليم الشعب كما ينصّ القانون فيخدمون بذلك الدين والوطن لهذه الغاية كان اول مشاريع رئاستهِ أن انشأ سنة ١٨٩٢ في مدينة بيروت مدرسة مجاورة لكلية القديس يوسف جمع فيها الطلّاب الرهبان بعد ان اتفق مع حضرة آباء الكلية على ان يحضر تلاميذ الرهبانية صفوف الدروس فيها ولاسيما الدروس العليا كالفلسفة واللاهوت على الطريقة التي يتبعها تلاميذ الطائفة المارونية في مدرسة البروبغندة في رومية . وقد نالت تلك المدرسة الثناء للجمع المقدس الخاصّ الذي ثبّتها واوصى الرؤساء بتعزيزها وتوجيه العناية الخاصة اليها . ففيها يتخرج منذ ثلاثين سنة ابناء الرهبانية على حضرة الآباء اليسوعيين الافاضل ويلاقون منهم كل غيرة ورعاية . وقد خرج منها عدد وافر من الرهبان الدارسين لايقلُّ مجموعهم عن الخمسين فيهم مَن نالوا شهادة الاستاذ في الفلسفة واللاهوت وعُرفوا باجتهادهم وغيرتهم على نجاح رهبانيتهم وتقدُّمها وخير طائفتهم ووطنهم واكثرهم اليوم يتعاطون عمل الرسالة والتعليم او يستلمون ادارة بعض الشؤون العامة في الرهبانية فأدّوا لها خدماً مشكورة منهم حضرة المدبرين الحاليين : الآباء سليمان البتديني وانطونيوس عارج الترسطاوي وعبدالله عواد المصروني ويوسف غصوب الشباني وحضرة الوكيل العام الاب مرتينوس طربيه التنوري الاستاذ في علمَي الفلسفة واللاهوت والاب اغناطيوس سركيس الرئيس العام السابق ومعلم المبتدئين حالياً والاب انطونيوس حرفوش المدبر الاول والكاتب العام سابقاً واستاذ اللاهوت وكاتب اسرار الرئاسة العامة الاب الياس التنوري ورئيس دير قزحيا الاب جبرائيل نادر كفرزينا والاخوان الياس بكيفا ويوحنا العنداري رئيسا دروس الابتداء في الناعمة وكفيفان (١ وغيرهم من رؤساء الاديار وممن اختصُّوا بالتعليم وعمل الرسالة . اما حضرة رئيس الرهبانية العام الحالي اغناطيوس داغر التنوري المشهور بتنسكه وتقواه والذي حمل امتثالاً لامر المجمع المقدس عبء الرئاسة في اشدّ

(١) ومنهم ايضاً حضرة مرشد مدرسة الرهبانية في بيروت الاب بطرس سارة المحقق واضع هذه الترجمة (المشرق)

الظروف حراجةً مدة الحرب الكونية فساس الرهبانية بما عُرف به من الحلم والغيرة والحكمة وكان اب الفقراء البائسين وحاز ثقة الكرسي الرسولي فجدد انتخابه مؤخرًا فانه غرسةٌ يمين صاحب هذه الترجمة رحمه الله اذ كان استاذه مدة ابتدائه وتلمذته وقد عهد اليه ادارة مدرسة بيروت المشار اليها يوم كان اي المترجم رئيساً عاماً . وغير هولاء الاحياء قد شمل فضله كثيرين ممّن رقدوا كالاب اغناطيوس لبوس البتديني والاب ميخائيل شاهين الجزيني والاب جرجس عبود الجاجي او ممّن تربوا وتعلموا في الرهبانية ثم نزعوا الى العيشة الكهنوتيَّة في العالم كالاب بولس عبود القوسطاوي والاب جبرائيل العضيمي والاب مبارك الرشماوي . وكم له من الايادي البيضاء على كثير من الذين سعى لهم فأدخلهم احدى المدارس او حرضهم بارشاده ومثله على اعتناق الدعوة الرهبانية او الاكليركية حيث تلقنوا العلوم الكنائسية واصبحوا من مزاولي مهنة التعليم في مدارس الجبل او من الكهنة الغيورين على خلاص الانفس

وتعميماً لروح العلم والمعارف في الرهبانية قد عيَّن ما عدا مدرسة بيروت المنوَّه بها مدرستين اخريين الواحدة في دير مار جرجس الناعمة لتدريس اللغتين العربية والسريانية والاخرى في دير كفيفان لتكملة اللغتين المذكورتين ودرس اللغة الافرنسية استعدادًا للدخول في مدرسة بيروت التابعة كلية القديس يوسف

ولمَّا رأى ما في تهذيب ناشئة الرهبانية من النتائج الحسنة وحَّد الابتداء بحسب امر المجمع المقدس ليتربَّى فيه المبتدئون على روح واحدة وينشأوا على حب الصلاح والآداب والمحافظة على الفرائض القانونية المقدسة وقد عين لتهذيبهم وتدريبهم نخبة من الرهبان المعروفين بفضيلتهم ودرايتهم في طرق التهذيب والتربية

تلك كانت عنايته بترقية ابناء الرهبانية في روحياتهم ومعارفهم ولم يكن مع ذلك يغفل تحسين الحالة الاقتصادية في الرهبنة والنظر في ماديّاتها وتكثير اليد العاملة فيها وبث روح الشغل والعمل في ابنائها فأصلح عدَّة اديار وعُني بتجديد بعضها كدير سيدة ميفوق ودير مار مارون برسنين ودير مار انطونيوس حوب وسيدة طاميش ومار مخائيل بنابيل . وقد نظر في المالية فسعى في ايفاء الديون عن الاديار ورفع عن عاتقها فوائض المبالغ الباهظة وشدَّد في ضبط حسابات الاديار وكان يراقبها هو بنفسه

وكان رحمه الله قدوةً وموعظـة لمرؤوسيه ليس فقط مدة رئاسته العامة بل في كل الوظائف التي تقلّب فيها فيما بعد كادارة المدارس والترؤس على الاديار فانه ترأس على ادارة مدرسة دير مار اشعيا للرهبانيـة الانطونية وكان فيها يدرّس الـلاهوت الادبي والنظري ثم انتدبه سنة ١٩٠٦ غبطة السيد البطريرك الى السهر على المبتدئين الدارسين في رهبـانيته معيناً اياه زائراً خارق العادة لاجل المحافظـة على التهذيب الرهباني في اديرة المدارس والابتداء. فقام بجميع واجباته هذه بما عُرف به من التفاني والحنكة

ولما أوفد الكرسي الرسولي الزيارة الى الرهبانيات الثلاث المـارونية في غرّة كانون الاول سنة ١٩٠٧ كان هو من اكبر مناصريها ومساعديهـا الى ما توخّته من الخير والنجاح للرهبنة بحسب رغائب المجمع المقدس وبعد ان خبرته الزيارة وعرفت ما فيه من الغيرة والقدرة على ترقية الشبيبة عيّنته سنة ١٩١٠ رئيساً على مدرسة الرهبانية في دير سيدة نسبيه في غوسطا فاخلص فيها الخدمة كعادته وكان بين جمهوره المؤلف من سبعين راهباً بين استاذ وطالب ومساعد كالاب في عيلته محبوباً ومكرماً فسارت المدرسة على محورها القانوني وحازت رضى الرؤساء وقدمت للرهبانية وللطائفة عدداً وافراً من الكهنة الاتقياء والعملة النشيطين في كرم الرب

ثم ندبه في ت ١ سنة ١٩١٢ المجمع المقدس بواسطة الزيارة الرسولية الى رئاسة مدرسة الرهبانية في مدينة بيروت فامتثل امر الطاعة مرتاحاً وكان راغباً رغم وقر الشيخوخة وخطر المرض ان يتولى ادارة تلك المدرسة التي انشأها وجعلها محطّ آماله ومرجع افكاره غير ان مرضهُ منعه من تحقيق كل امانيه. اذ لبث طويلاً حتى اقامه حضرة الرئيس العام الاب اغناطيوس التنوري بعد استشارة سيادة القاصد الرسولي رئيس معاملة على اديار المتن والقاطع ليكون مثالاً حياً بتقواه وغيرته امام الرهبان. فظهر في هذا الدور الاخير من رئاسته ايضاً غيوراً على اديار معاملته وجماهيرها محرضاً رهبانها على التقيّد بواجباتهم القانونية ومزاولـة العمل روحياً كان او زمنياً. وكان في ايام الحرب يوصي الرؤساء كما سبقت الاشارة بالّا ينفكّوا عن التصدّق على الفقراء بالاحسان الـلازم للروح والجسد

ومن مساعي غيرته المشكورة استدعـاؤه راهبات القلبين الاقدسين لانشاء

مدرسة في قرية المتين لاجل تعليم بنات القرية ولم يكن يلويه عن الاقدام على هـذا المشروع بعض ما لاقاه من المصاعب في البداية بل توفق الى اثبـاته وتعزيزه وكتب الى شقيقه الثري التـاجر المعروف في بونس ايرس ٠ الى غيره من المهـاجرين يستنهض همتهم لمساعدته في انشاء تلك المدرسة مثبتاً لهم لزومها وعظيم الفائدة منها فلبوا طلبه وكان له بذلك اكبر تعزية قبل ان باغته المنية ولم تمهله ليرى مشروعه هذا تاماً زاهراً اليوم بفضل الراهبات الشار اليهنَّ الشانيات في تعليم الابنة وتهذيبها ٠ وكان من اكبر العاضدين لتعزيز مدرسة الصبيان التي يديرها الشاب الاديب سليم ابو رزق وتعدُّ من مدارس الوطن الراقية الزاهرة

ومن مآثر المترجم العلمية ترجمة كتب افرنسية عديدة وحيدة في بابها منها ما ظهر بالطبع ككتاب « دستور الروساء » وكتاب « دستور الحياة الروحية » ومنها باقٍ مخطوطاً وهو كتاب لاهوت اعتقادي مختصر وكتاب الفضائل الرهبانية وهو خلاصة كتاب الكمال المسيحي وكان شارعاً بنقلها يوم وافتهُ المنية

ولم يكن رحمات الله عليه في جميع هذه المهام يغفل ذلك العمل الذي جعله قُبلة اعماله كلها اعني به الرسالة فانه لم ينفك من التبشير بكلمة الله والقـاء الرياضات الروحية في الاديار وفي الرعايا حتى توفاه الله شهيد هذا العمل الشريف الـذي شغل قسماً كبيراً من حياته وكان ما عجّل منيّته قيامهُ ساعات طويلة يوم عيد قطع رأس ٠ار يوحنا المعمدان في كنيسة الرعية في بجرصاف حيث احتفل بالذبيحة الالهية ووعظ الشعب مرات وسمع اعترافاتهم وما خرج من الكنيسة حتى اخـذ يهتمُّ بحلِّ بعض المشاكل ومصلحة بعض المتخاصمين ٠ فصرف معظم نهاره في مثل تلك الاعمال الشاقة ولم تكن صحته المعتلَّة وشيخوخته تحتمـلان مثل هذا العناء فخارت قواه وسقط مريضاً فنُقل الى دير مار ميخائيل بجرصاف حيث ثقل عليه المرض واستدعى على امهر الاطباء ٠ وكان وهو على سرير الاوجاع معتصماً بفضيـلة الصبر شاركاً آلامه بآلام الفادي له المجد ٠ وما عرف بدنوّ اجله حتى اخذ يستعدّ للاقاة ربه مستقبلاً الموت بتمام التسليم لارادته تعـالى متغنياً بآيات الكتاب : « اني اهوى ان انحـلَّ من هذا الجسد واكون مع المسيح ٠ متى اطير واستريح فيك يا الله اله قلبي ونصيبي » وقد اومر الى حضرة الاب واضع هذه الترجمة الذي كان مشاهداً احتضاره ان يقرأ عليه صلاة

النازعين وبعض فقرات من كتاب الاقتداء بالمسيح فكان يصغي اليها بكامل وعيهِ وما زال يتلفظ باسم يسوع ومريم حتى لفظ معها روحه الطاهرة مساء الخميس الواقع في عيد مولد العذراء ٨ ايلول سنة ١٩٢١ متزوداً الاسرار مائتاً ميتة الابرار بعد حياة جهاد صرف منها في الرهبانية اربعاً وخمسين سنة مملوءة بالفضائل والاعمال الصالحة

وكانت لوفاتهِ رنّة حزن وزفرة اسف شارك فيها رهبانيّتهُ وذوي قرباه جميعُ من عرفه من اعيان ووجوه المتن والقاطع وغيرهما ثم نقلت جثتهُ الى دير مار موسى الدوار حيث كان مقرّهُ وقد ترأس حفلة الصلاة عليه سيادة المطران بولس عواد وكانت الكنيسة غاصّة بجماهير الوافدين للتبرك منه وقد أبّنه حضرة رئيس الرهبانية العام الاب انطونيوس التنوري مبيناً عظيم فضله وجسيم الخسارة بفقده. وودعه على الضريح بكلام بليغ مؤثر حضرة الخطيب نعوم افندي لبكي احد اعضاء مجلس لبنان النيابي. ثم واروا جسمانه الثرى وذهبت نفسه الى دار البقاء تنال ثواب من عاش الحياة كلها لله تعالى راهباً قانونيّاً عالماً عاملاً ترك من بعده للرهبانية وللطائفة آثار جليلة تخلّد له الذكر الحسن بين اخوتهِ ومواطنيه وتضمن له سعادة الابد. نفعنا الله بصلاته واثابه عداد حسناته

آثار عربيّة في دمشق

لجناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس

حضرة مدير مجلّة المشرق الغرّاء

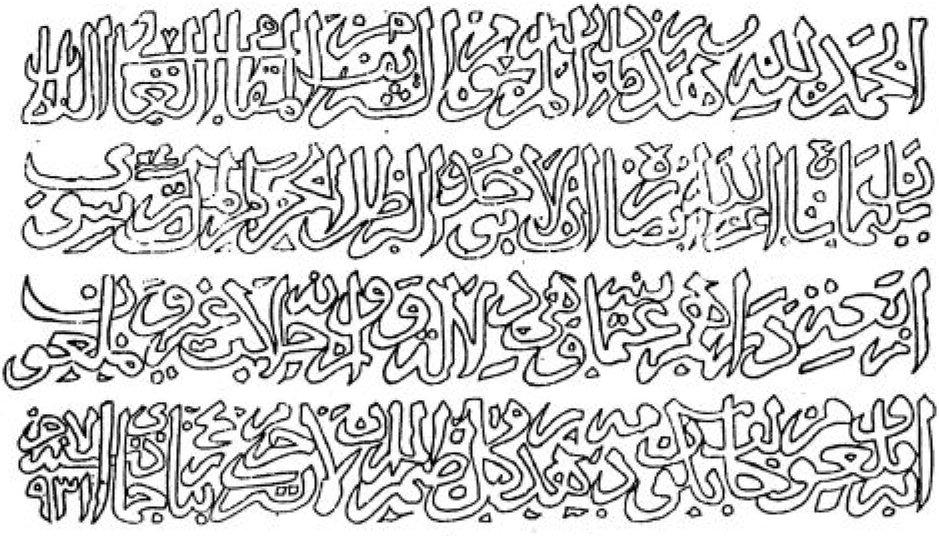
تحيّة واكرام. امّا بعد فلمّا جاء الصيف وضرب الحرُّ اطنابهُ تاقت النفس الى التجوُّل في ربوع لبنان فاستنشقتُ هواءهُ الرطب وارتشفت ماءهُ البارد العذب. ثم سرتُ الى بعلبك وتفقّدت آثارها. بعد ان اعادت لها البعثة الالمانيّة شيئاً من محاسنها في سالف اطوارها. وكانت دمشق غاية سياحتي. وهي منتظرتي ببهجة حدائقها. فجلتُ في اسواقها العامرة وبساتينها النضرة وزرتُ بعض معاهدها العلميّة والصناعيّة لاسيّما

مجمعها العلمي الحديث النشأة الذي يتولى تدبيره الاديب العالم محمّد افندي كردعلي صاحب الهمّة والنشاط. ودخلتُ ميتمها العامر الذي يتولى تدبيره آل شاميّة حيث وجدتُ الفتيات والوانس المسلمين والمسيحيين يتربّين معاً ويدرسن العلوم ويتعاطين صناعة السجّاد على افضل منوال. وذلك كلهُ مما يدلّ على نهضة ادبيّة واجتماعيّة تشرح الصدور وتثلج القلوب. ومع ما توالى على الفيحاء من التقلّبات لا يزال السائح يشاهد في انحائها آثاراً قديمة ينطق لسان حالها بعظم شأنها في الاعصر الخالية. ومنها ما يشهد على انكباب اهلها على إحراز المعارف كما يُثبت غيرة حكّامها وسلاطينها في تعزيز التعليم وانشاء نوادي العلوم

وممّا يدلّ على تهافت الدمشقيّين سابقاً على طلب العلوم كثرة الكتب التي نُسخت فيها واجتمعت في خزائنها. ومع ما تلف منها بكوارث الزمان او بيع للاجانب لا يزال قسم كبير منها عند الخاصّة وبعض الورّاقين. وقد اسعدني الحظّ على اقتناء شيء منها مما يدلّ تاريخها او ورقها على قدم عهدها. فمن ذلك نسخة من كتاب مصابيح السنّة في الحديث للعالم الفاضل حسين بن مسعود البغوي نُصّ في آخره على طائفة غير يسيرة من الدين قرأوا الكتاب واستفادوا من مضامينه. ومن جملتهم احد الملوك الأيوبيّين ابن صلاح الدين الكبير وبعض آله الكرام كما يأتي:

سمع بعض هذا الكتاب وهو المصابيح للبغوي والجزئين الذين (كذا) بعدهُ من الكتاب المولى الملك الافضل قطب الدين ابو الفتح موسى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب نصره الله ورحم اسلافهُ والامير فارس الدولة مَرقَة بن اسمعيل والامير تاور الدين يونس وولدهُ شمس الدين محمّد والامير افتخار الدين والنقيب برهان الدين حسن (؟) الرصافي والحكم الاجلّ زين الدين ابو محمّد عبدالله بن الحكيم ... الخ وذلك في الاول من ذي القعدة سنة خمس وستمائة بقلعة ميافارقين

وفي دمشق آثار كثيرة ما عدا المخطوطات العربيّة القديمة احببتُ ان اذكر لكم منها اثراً وقع تحت نظري في دار حضرة نسيبي القس الفضال يوسف جبور حيث نزلتُ ضيفاً مكرّماً. والاثر المذكور صفيحة من رخام مصونة بغاية الاتقان منقوشة نقشاً جليّاً ومكتوبة بالخطّ العربيّ العادي تاريخها يرتقي الى ايام السلطان سليمان شاه القانوني في اوائل العشر الرابع من القرن العاشر للهجرة والسادس عشر للميلاد. وموضوع الكتابة كما سترى تعيين التعرفة اي الرسوم التي يجب على اهل الشام



صورة الكتابة العربيّة المكتشفة في دمشق

من عهد سليمان شاه القانوني

دفعُها على الحرير وفيهِ دليل واضح على مزاولتهم صناعة الحرير والاقمشة من قديم الزمان ولا يخفى ما للدمشقيين من طول الباع بشغل الاقمشة الحريريَّة ابًا عن جدّ .

وقد نقلنا بالطبع هذه الصحيفة ثمّ رسمناها صورة شمسيَّة كما ترى وهذا نصُّها :

الحمدُ لله هذا ما ورد في المرسوم الشريف من المقام العالي السلطان سليمان شاه اعزّ الله انصارهُ ان لا يؤخذ من الرطل الخز كمرك الميري سوى اربعة دراهم عثمانيَّة وهي دلالة ولازمة واجبة لا غير وملعون ابن ملعون من خالف يكون دمهُ هدر وكلّ ضيم للآنَ لا يُرى ؟ حرّر بتاريخ جمادى الآخر سنة ٩٣١ (١٥٢٥ م)

وقد لاح لي ان هذه الصفيحة كانت ملصوقة على احد جدران الباب الشرقي لكي يراها الداخل الى المدينة ويدفع الرسم الواجب عليه ان كان ناقلًا شيئًا من الخزّ اي الحرير الخام المُعدّ لصناعة الحياكة . ويحملني على هذا الحكم موقعُ بيت القس يوسف جبور الذي لا يبعد اكثر من مائة خطوة من الباب الشرقي . ويؤخذ من هذا الاعلان الرسمي ان صناعة الحرير كانت رائجة بدمشق في عهد السلطان سليمان القانوني وأنَّ بعض المحترفين كانوا يؤدُّون دراهم زائفة فاضطرُّوهم ان يدفعوا مسكوكات خالصة الوزن

ولعلّ احدًا يعترض على دفع رسم الجمرك كيف كانت تتعاطاهُ الحكومة في داخل المملكة فالجواب على ذلك انَّ هذا الرسم الداخليّ ثبت زمنًا طويلًا ولم يبطل الّا من عهدٍ قريب . وانا اذكر انَّ المرحوم والدي الذي كان يتعاطى صناعة الحرير في بيروت في حدود سنة ١٨٦٤ كان اذا ادخل قماشًا الى المدينة من باب سوق ابي نصر او من باب الدبَّاغة يدفع للجمرك رسمًا على الحرير الخام وعلى القماش المصنوع

فالرجاء من حضرة مدير المشرق ان يذكر لنا شيئًا من صناعة الخزّ ومصنوعات الحرير بدمشق فنكون لهُ من الشاكرين

جواب المشرق

كلّ يعلم انّ بلاد الشام عمومًا وفينيقية خصوصًا كانت مورد الانسجة الثمينة والاقمشة البديعة مدة اجيال قبل المسيح كفى شاهدًا على ذلك ما ورد في سفر حزقيال النبي في فصليهِ السابع والعشرين والثامن العشرين حيث يصف تجارة صور واسواقها وغناها وقد خصّ بالذكر ارجوانها ووشيها وانسجتها الفاخرة ومن جملتها الحرير

وقد صرّح بذكر دمشق من جملة عمال صور

لكنّهم اختلفوا في اسم «الحرير» المذكور هناك وهو في العبرانيّة راموت (٢٦٥٨٦) زعمهم انّ الحرير لم يُعرف في ذلك الوقت في بلاد الشام وانّ المراد به نسيجٌ كانوا يصطنعونهُ في بلاد الكلدان وجزائر اليونان من مفرزات بعض الحشرات البرّيّة من غير دود القزّ

وما لا يُنكر ان الفينيقيين عرفوا الحرير الصينيّ في القرن الاول قبل المسيح كانوا يبتاعونهُ على صورة الخزّ الخام فيقصرونهُ وينسجونهُ ويصبغونهُ الواناً ثم يبيعونهُ لارباب الدول بأغلى الاثمان في رومية وبقيّة البلاد وشاع عنهم ذلك حتى عُرف الحرير عند الرومان بالنسيج الفينيقيّ او الصوريّ

ثمّ راج سوق الحرير وكثرت المعامل لاصطناعهِ في برّ الشام لولا انّ قياصرة رومية ثم ملوك الروم بعدهم في القسطنطينيّة احتكروا كل انسجة الحرير واختصّوا نفوسهم بشرائها وبيعها فكانوا يحصّلون منها المبالغ الطائلة

وبقي الحرير الصيني مجهول الاصل حتى ان كثيرين من الكتبة كانوا يزعمون انهُ يُجنى على شجرة صينيّة الى ان تمكّن سنة ٥٢٢ راهبان ارسلهما الملك يوستنيان الى الصين فأتيا ببزر دود القزّ خفيةً عن اهلها وكشفا سرّهُ للروم فاسرع السوريّون الى تربيتهِ والى غرس اشجار التوت لطعامهِ . لكنّ احتكارهُ بايدي الدولة كان عقبةً كؤوداً في مزاولة تلك الصناعة

ودامت الحال على ذلك الى ان دخل العرب بلاد الشام وجعل الامويّون دمشق حاضرة ملكهم فانّ صناعة الحرير انتعشت بعد خمولها . وكانت دمشق اوّل مدينة نالت منها نصيبها فان معاوية لما ابتنى قصرهُ المعروف بالخضراء افرز فيه قسماً لحياكة الحرير ووشي الثياب الملوكيّة وهو ما عُرف بدار الطراز استدعى لاستحضارها صَنَعة السوريين النصارى فخرجت من معاملهِ اثواب من الحرير والديباج او الابريسم كان يفتخر الملوك والاعيان بلبسها ينسجون بخيوطها الذهبيّة الملوّنة نقوشاً مختلفة وكتابات شتى مزركشة . قال ابن خلدون في مقدّمتهِ :

«وكان القائم على النظر فيها يسمّى صاحب الطراز ينظر في امور الصنّاع والآلات والحاكة فيها واجراء ارزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشارفة اعمالهم وكانوا يقلّدون ذلك لخواصّ دولتهم وثقات مواليهم . وكذلك كانت الحال في دولة بني اميّة في الاندلس»

ثم سعى اهل حلب وصور في مزاحمة دمشق فأنشأوا المعامل الشهيرة التي راجت مصنوعاتها في اقاصي بلاد الغرب وكان السوريون النصارى منهم واليهود ينقلون الى تلك الاقطار منسوجات الشام فيربحون ببيعها المبالغ الوافرة

ولما احتلَّ الصليبيُّون بلاد الشام كثيراً ما يذكر كتبتهم حرائر دمشق وبيروت وطرابلس وحمص وحلب . وفي القرن الثالث عشر زار الشريف الادريسيّ دمشق فوصفها بما حرفهُ :

« ومدينة دمشق جامعة لصنوف من المحاسن وضروب من الصناعات وانواع من الثياب الحرير كالخزّ والديباج النفيس الثمين العجيب الصنعة والعديم المثال الذي يُحمل منها الى كل بلدة ويتجهز به منها الى كلّ الآفاق والامصار المصاقبة لها والمتباعدة عنها . ومصانعها في كلّ ذلك عجيبة تضاهي ديباجتها بديع ديباجة الروم وتُقارِبُ ثياب دستر وتنافس اعمال اصفهان وتشفّ على اعمال طُرُز نيسابور من جليل ثياب الحرير المُصمتة وبدائع ثياب تنّيس وقد احتوى طُرزها على فنائتين من اعمال الثياب النفيسة ومحاسن جمّة فلا يماثلها جنس ولا يقابلها مثال »

وقد اصاب دمشق بعض الخمول في صناعتها لمّا دخلها تيمورلنك في اوائل القرن الخامس عشر ونقل صنعتها الى العجم لكنها عادت بعد حين فجدّدت معاملها . لنا على ذلك شاهد في ما كتبهُ مرسلان كاثوليكيان مرّا بها في القرن السادس عشر وهو عصر السلطان سليمان القانونيّ الذي ورد ذكرهُ في الكتابة الموسومة في هذه المقالة فقالا :« ليست دمشق اقلّ شهرةً بمنسوجاتها الجميلة وحرائرها الرائج سوقها في كلّ البلاد منها بحدائقها وضروب اثمارها الطيّبة وخمورها » . ويقال انَّ الرايتين اللتين تزينان قبر صلاح الدين قد نُسجتا في ذلك العهد

على أن نشاط مدن السواحل وتجارة لبنان في تربية القزّ واستحضار حرائرهِ وبيعها لتجّار الفرنج في صيداء وطرابلس وبيروت وعكّة وحمص اخمد همّة الدمشقيين . وزد على ذلك ظلم ولاة العثمانيين وضرائبهم الفاحشة التي كانت تشلّ عزمهم في العمل . كتب احد سيّاح الفرنج المدعو فرمانل (Fermanel) انَّ ولاية حلب في القرن السادس عشر كانت تدفع للباب العالي كلّ سنة ثلاثة ملايين ليرة . ولعلّ دمشق كانت تتكلّف مثل ذلك وموقعها التجاري دون حلب . فلمّا رأت كساد سوق الحرائر عدل اهلها الى اصناف تجاريّة غيرها وان لم تهمل حياكة الحرائر ومعدّل ما كان فيها من الانوال في الدهر الاخير بين خمسة آلاف الى ستة آلاف نول ل . ش

الاورثذكسيَّة والانكليكانيَّة

نظر تاريخي كنائسي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كان دخول بطريرك الفنار الجديد غبطة السيّد ملاتيوس الرابع ميتاكساكيس الى الاستانة العليَّة وجلوسهُ على كرسيّ بطريركيتهِ في ٦ شباط من السنة الجارية يوماً مشهوداً فصار لهُ مع مساعدة الانكليز استقبال شائق رغماً من اثينة وملكها قسطنطين والوزارة اليونانيَّة وبعض الاساقفة المادحين لثيوكليتوس

استبشرت الكنيسة البزنطيَّة بقدومهِ وأمّلت برئاستهِ الحصول على نهضة جديدة في الاورثذكسيَّة . وقد أيد السيّد ملاتيوس اماني شعبهِ بخطابهِ الاوَّل الذي القاهُ امام الجماهير المجمهرة يوم قدومهِ اذ عدَّد ما ينويهِ من الاصلاحات المتعدّدة لتعزيز شؤون كنيستهِ الروحيَّة والماديَّة وقد ابدى اسفهُ على ما يراهُ « من مناوأة ابنة الكرسي البطريركي البكر (اي اليونان) التي عقّت أمّها ورفعت يدها عليها»

وممَّا أعلن بهِ البطريرك رغبتهُ الشديدة في السعي وراء الاتّحاد مع الكنائس الغربيَّة ولاسيما الكنيسة الانكليكانيَّة التي تجاهر بأنَّها نحو العنصر اليوناني فتعضدهُ طاقة جهدها

وليس كلام السيّد ملاتيوس هذا في اتّحاد الكنيسة الروميَّة والكنيسة الانكليكانيَّة شقشقة لسانٍ او كلاماً فارغاً تسقطهُ الريح وتنسفهُ . فانَّ لغبطتهِ سوابق تشهد على ميلهِ الى البروتستانيَّة فانَّهُ في مدَّة تطوافهِ في جهات اميركة صرَّح لدى اربابها الدينيين والمدنيين بشوقهِ العظيم لاتّحاد كنيستهِ الشرقيَّة بالكنيسة الاميركيَّة الرسميَّة اي الانكليكانيَّة . ولمَّا وقع عليهِ الاختيار للكرسي البطريركيّ قفل راجعاً الى الاستانة لكنهُ في طريقهِ مرَّ بلندن واجتمع برئيس اساقفة كنتربري الانكليكاني وباحثهُ في امر اتّحاد الكنيستين ووعدهُ بان سيرسل الى عاصمة الانكليز رجلاً ثقةً ينشيء فيها كنيسةً يونانيَّةً ويسعى وراء الاتّحاد المرغوب

وهكذا تمَّ بعد اشهر قليلة فان السيّد ملاطيوس في مجمع مليّ عقدهُ بعد مجيئهِ بزمن قليل عزم على اقامة كرسيٍ مطروبوليتيّ في لندن . وفي ٦ نيسان الماضي عيَّن

لهذه الهيئة مدير المدرسة اللاهوتية في خلكي سابقاً وهو السيد جرمانوس وهو ايضاً ممن يدعون الى الشيعة البروتستانية وقد تشرَّب تعاليمها اذ درس في ليبسيك ونال فيها شهادة اللفنة في الفلسفة. ولما عُقد في انكلترة قبل سنتين موتمر الاديان كان هو ممثلا لبطريركية الفنار

فيتحتّم علينا لدى هذه الظواهر ان نبحث عن الاتحاد المنوي بين الكنيستين الشرقية الاورثذكسية والانكليكانية هل هو ممكن وما هي الموانع الحائلة دون إتمامه فعلاً

***

ما احلى على اللسان لفظ الاتحاد ! وما احبَّ وَقعَهُ في النفوس ! فنهُ القوة وبهِ الطمأنينة وايَّاهُ طلب السيّد المسيح لتلاميذهِ « ليكونوا مكمَّلين في الوحدة»

على انَّ هذه الوحدة المرغوبة التي يجب على كلّ ابناء الله ان يلتمسوها من مراحم الاب السماويّ لا يُحصل عليها الاَّ بشروط معلومة اوَّلها ائتلاف القلوب واتفاق العقول في الايمان الواحد وقبول الحقائق الجوهريَّة في الدين . وعلى هذا بنينا مقالتنا السابقة في احتمال رجوع روسيَّة الى الكثلكة (ص ٧٣٥) كما يمكننا ان نبنيها ايضاً لاثبات رجوع الكنيسة الاورثذكسيَّة الى حظيرة البيعة الكاثوليكية اذا شاء اربابُها ان يتجرَّدوا عن اوهامهم بحجتها وينصتوا الى صوت آبائهم القديسين الذين ماتوا على ايمانها فانَّ الحواجز التي اقاموها بين الكنيستين قليلة الثبات سريعة الانحطام تسقط بادنى ترو اذا عرضوها على محك الانتقاد وسبروها بعيار الحقّ ونظروا اليها بنور الله الساطع في الاسفار المقدَّسة وتآليف الآباء الاوَّلين وكتبهم الطقسيَّة الجليلة

وهل يا تُرى الامرُ على هـذا المنوال بين الكنيسة الاورثذكسيَّة والكنائس البروتستانيَّة بايّ اسم دُعيت وايّ نعتٍ نعتت به نفسها ؟ فدعنا نمعن في ذلك نظر العقل الصواب متجرّدين عن كلّ غرض شخصيّ

مساعي البروتستانت المتعدّدة للتقرّب من الكنيسة الاورثذكسية

وقبل ان نبحث في إمكان الاتحاد بين الكنيستين الانكليكانية والاورثذكسيَّة يحسن بنا ان نذكر بالاختصار مساعي البروتستانت المتعدّدة للتقرُّب من الكنيسة الشرقيَّة

ما كاد لوتارس ينشر راية العصيان على الكنيسة الرومانية التي رمتهُ ومشايعيهِ بالحرم حتى سعى اصحابهُ بتوفير انصارهِ وكان من جملتهم ملانكتون فهذا أدرك ما ينقص المجتمعات البروتستانية من علامات كنيسة المسيح * الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية * فاراد ان يتلافى كلَّ هذه النقائص بالتقرب من الكنيسة الشرقية . ففي السنة ١٥٥٩ ارسل الى يواصف الثاني بطريرك القسطنطينية دستور ايمان البروتستانت في مدينة اوسبرغ وشفعهُ بكتاب يحاول فيه الدفاع عن مذهبهِ الذي يقرب على قولهِ من مذهب الكنيسة البزنطية الّا انَّ البطريرك لم ينخدع بهذه التمويهات فلم يجب عليهِ بحلوة ولا مرة

ثمَّ عاد البروتستانت اساتذة مدرسة توبنغن سنة ١٥٧٣ فسعوا بواسطة سفير المانية في القسطنطينية ان يشتركوا بالايمان مع البطريرك ارميا الثاني وطالت المخابرات بين ارباب البروتستانت وزعيم الكنيسة اليونانية الى السنة ١٥٨٢ فلم تأتِ بنتيجة فان ارميا فنَّد كلَّ مزاعم الشيعة اللوترانية بادلة قاطعة لم تدع لهم املًا بالاتحاد المرغوب

وما مرَّ على ذلك خمسون سنة حتى تمنَّى لشياع كلوين بالظفر بجلوس كيرلس لوكاريس على كرسي القسطنطينية . فان كيرلس هذا كان تلقَّن العلوم في مدارس البروتستانت وتشرَّب روحهم وتوصَّل بدسائسهِ الى ان يتولَّى تدبير الكنيسة الشرقية على الروم سنة ١٦٢١ فكان معظم همّهِ ان ينفث في مرؤوسيهِ من ارباب الدين واعيان الرعايا سمَّ التعاليم الكلوينية بمساعدة في ذلك سفراء انكلترة وهولندة واسوج ببثّ المطبوعات البروتستانية الّا انهُ لم يفز ببغيتهِ وبعد ان خُلع مرارًا من رئاستهِ وعاد اليها خمس مرّات مات اخيرًا اشنع ميتة سنة ١٦٣٨ ثمَّ اجتمع بعد موتهِ مجمع ملّي رماهُ بالحرم ونبذ تعاليمهُ الكاذبة . ثمَّ تكرَّر حرمهُ بعد ذلك في الاستانة سنة ١٦٤٢ في عهد البطريرك برثانيوس وفي المجمع الاورشليمي في زمن البطريرك دوسيثاوس سنة ١٦٧٢

وفي اواخر القرن السابع عشر ضُربت ايضًا في الاستانة وفي بقيَّة الكنائس الشرقيَّة بدعةُ كلوين بضربة لازبة اذ نشر بطاركة الشرق مناشيرهم مصرِّحين باعتقادهم لاسرار الكنيسة ولاسيَّما سرّ القربان الاقدس ورذلين تعاليم البروتستانت

(راجع مقالات المشرق في ذلك ٦ [١٩٠٣] : ٥٠١ و ٩٧١ ثم ٧ [١٩٠٤] : ٧٦٦ و ٧٩٥)

على انَّ الانكليز كانوا يدَّعون أنهم ليسوا بروتستانت ولا يوافقون اللوترانيين والكلوينيين في مذهبهم فظنُّوا انهم يستطيعون ان يبرموا الاتحاد مع الكنيسة الاورثذكيَّة. ولبلوغ هذه الغاية بنى اسقف لندن الانكليكاني هنري كومبتون (H. Compton) كنيسةً للروم في عاصمة انكلترة سنة ١٦٧٧ وخصَّ اساتذة اوكسفرد سنة ١٦٩٩ احدى مدارسهم ڤوريستر (Worcester College) لخدمة اليونان. ولمَّا ارسل صموئيل كبازولس بطريرك الاسكندريَّة الاورثذكي سنة ١٧١٤ اثنين من اساقفتهِ لجمع الحسنات لكرسيّهِ من انكلترة عرض عليهما زعماء البروتستانت دستور ايمانهم مع شروط شتَّى لتوحيد الكنيستين طلبوا المصادقة عليها فذهبت مساعيهم ادراج الرياح

وفي السنة ١٧١٦ عزم قوم من الانكليز والسكوتلنديين على عقد محالفة دينيَّة مع الكنيسة الاورثذكيَّة فكان نصيبهم الخيبة . ثمَّ تكرَّرت هذه المخابرات دون جدوى في غضون القرن الثامن عشر ثمَّ في التاسع عشر فكان رؤساء الكنيسة الشرقيَّة مع تساهلهم لا يزالون يرون في اقاويل الاكليروس الانكليزي ومعتقداتهِ عدَّة امور منافية لايمانهم لا تنطبق مع تعاليم الآباء الشرقيين

وفي السنة ١٨٤٥ ارسل ملك بروسية فردريك غليوم الرابع بعد اتفاقهِ مع رئيس اساقفة كنتربري اسقفاً بروتستانياً الى اورشليم ليقيم فيها ويمهّد السبيل للاتحاد مع الروم فكان لتنصيبهِ اسوأ وقع في قلوب الروم وقسم من الانكليز وكانت نتيجة ذلك على خلاف ما ظنَّ البروتستانت وزاد نفور الاورثذكس من المذهب الانجيليّ

فالتفت رؤساء الكنيسة الانكليزيَّة الى رئيس اساقفة السرب السيد ميشال مطروبوليت بلغراد فأظهر لهم بعض الانس لكنَّهُ رأى استنكاف شعبهِ من المذهب الانكليكاني فقطع العلاقات معهم وحرم احد كهنتهِ يوسف ڤاسيلياڤ لمشاركتهِ الانكليكان في الدينيَّات

وفي تلك الاثناء طرأت على الكنيسة الانكليكانيَّة طوارئ جديدة بما يدعونهُ حركة اوكسفرد سنة ١٨٤١ اذ قام عدَّة علماءها ورأوا ان معتقدات كنيستهم

لا تنطبق مع تعاليم الآباء الاولين فنبذوا كثيراً منها وتقربوا من الكنيسة الكاثوليكية في امور عديدة فدُعوا بالطقسيين (ritualistes) وظنوا اذ ذاك انهُ لم يبقَ عائق في سبيل الاتحاد مع الكنيسة الشرقية فاوفدوا واحداً منهم وليم بَلمر (W. Palmer) الى موسكو والى الاستانة لتحقيق آمالهم من الاتحاد فرجع بخُفّي حنين ولم يقبل الاورثذكس ان يشاركوهُ بالدين بل انكر عليهِ بطريرك الفنار صحّة معموديتهِ. فلمّا أيس من اقناعهم سار الى رومة حيث اجتمع بأحد الآباء اليسوعيين فهداهُ الله على يدهِ ونبذ الشيعة البروتستانية وصار كاثوليكياً. وحذا حذوهُ غيرهُ من اصحاب الحركة المذكورة ذوي الشهرة الواسعة كوليم جورج وَرْد (W. G. Ward) والكردينال نيومن (Newman) ثمَّ الكردينال مانّنغ (Manning)

على انَّ الانكليكان في الحقبة الاخيرة اعني منذ اوائل القرن العشرين جدَّدوا آمالهم في عقد الاخاء مع الكنيسة اليونانية لِما انتشر في هذا القرن من الولاء وروح التساهل بين العناصر المختلفة ولدخول قسم كبير من المطبوعات الدينية البروتستانية في مدارس اللاهوت في اليونان وفي مدرسة خلكي وفي مدرسة بلغراد. فجرت بين رئيس اساقفة كنتربري والبطريرك قسطنطين الخامس مراسلات ودّية تتابعت بعدهُ في السنين التالية الى عهدنا هذا ولكن هذه المكاتبات لم تتجاوز المواصلات الانسية ولا نظنّ انها تبلغ الى المشاركة التامة بالدينيات. ودونك اثبات قولنا:

ليس من المحتمل الاتحاد بين الارثذكسيّة والانكليكانيّة

(اولًا) لعدم وجود قاعدة ايمان صريحة في الكنيسة الانكليكانيّة. لو طلبنا من الاكليروس الانكليكاني ان يُعلن لنا بايمانهِ ويحرّر دستور معتقداتهِ لاختلف كلّ منهم عن صاحبهِ فينبذ الواحد ما يقبلهُ الآخر ويبارك زيد ما يلعنهُ عمرو. والدليل على قولنا الاطّلاع على تاريخ انكلترة الديني فانَّ المعتقدات الدينية قد تلوَّنت عندهم

كالحرباء كلّ لونٍ من لونٍ يتخيّلُ

أفيمكن الاورثذكسي أن يقبلها مع ما فيها من الاختلاف والتناقض؟

(ثانياً) وهبْ ان الانكليكان يقدّمون للاورثذكس دستوراً موافقاً لتعليمهم

فلن يضمن لهم انهم يثبتون عليه مع مبدأ الحرّيّة الشخصيّة في التعليم والاعتقاد الشائع عند الانكليكان كما عند بقيّة الشيع البروتستانيّة . أفيرضى الاورثذكسيّ بمثل هذه الفوضى الدينيّة ؟

(ثالثاً) يقول ارسطو في حكمه الفلسفيّة انّ صديق صديقي هو صديقي . فالانكليكان اصدقاء لمعظم الشيع البروتستانيّة ولاسيّما الشيع المعروفة رسميّاً من الدولة والمعدودة من كنيسة انكلترة : العليا او السفلى كما ورد في دستور ايمانهم الرسميّ (البند الثامن) . وبين هذه الشيع ما ينكر تعاليم الاورثذكس نكراناً صريحاً او ضمنياً . فان صادق الاورثذكس فئةً منهم لا مناص لهم من مصادقة الجميع لما بينهم من الروابط . فما قول الكنيسة البوزنطيّة الكبرى بمثل هذه المصادقة أفليست تجحد فعلاً كلّ تعاليمها ان وافقت الانكليكان في الشركة الدينيّة ؟

(رابعاً) من المعلوم انّ ليس من احد يستطيع الانتظام في سلك الكنيسة الانكليكانيّة الّا ويقسم علانيةً بطاعةٍ للتسع والثلاثين عقيدة التي قرّرتها الحكومة الانكليزيّة في القرن السادس عشر وفرضتها على ذويها الذين يتعهّدون بالمحافظة عليها كتابةً وشفاهاً . والحال انّ بين هذه العقائد المزعومة ما يخالف صريحاً معتقد الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الاورثذكسيّة معاً . واوّل هذه العقائد تجعل كلّ السلطة الدينيّة في عهدة ملك انكلترة . ومنها ما يعزو الضلال للمجامع المسكونيّة وينبذ غيرها الخمسة الاسرار المقدّسة وينكر الاستحالة . وبعضها يجيز الزواج للكاهن والمطران . وممّا يضادّ تعليم الكنيسة الاورثذكسيّة ويوافق التعليم الكاثوليكي انبثاق الروح القدس من الآب والابن . فليت شعري لو حالفت الاورثذكسيّة شقيقتها الانكليكانيّة أفلا يجب عليها ان تقبل كلّ هذه المعتقدات فتُبطل اورثوذكسيّتها من اصلها ؟ (راجع مقالة المرحوم الاب انطون ربّاط في التسع والثلاثين عقيدة في المشرق ٧ [١٩٠٤] : ٩٣٠–٩٣٨)

(خامساً) قد ثبت اليوم تاريخيّاً ان سرّ الكهنوت قد بطل في الكنيسة الانكليكانيّة لانقطاع سلسلته المتواصلة في الكنيستين الكاثوليكيّة والاورثذكسيّة بعهد الرسل . وقد حكم بذلك حكماً نهائيّاً السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر بعد ان شكّل لجنة خاصّة في فحص هذا الامر الجوهريّ وكذلك رفضت الكنيسة

الاورثذكسية ان تعتبر صحة السيامة الكهنوتية عند الانكليكان وذلك في مجمع عقده في رومية سنة ١٨٧٤ المنفصلون عن الكثيسة الرومانية منهم الالمان المدعون بالكاثوليك العتق انصار دِلِنْجِر وكان بينهم ممثلو كنيسة روسية وكنيسة الفنار . فلمّا طلب الانكليكان ان يعترف اعضاء المجمع بصحة السيامات في انكلترة والكنائس المشتقة منها وبأنها حفظت دون انثلام السلسلة الاسقفية ، أبى المجمع ولاسيما المدعوون الاورثذكس ان يوافقوهم على ذلك واتوا لاثبات نفيهم بشواهد من كبار علمائهم كطروبوليت موسكو فيلاريتوس وكالاستاذ الكيس ملتزاف

(سادساً) ان الكنيسة اليونانية عموماً منذ عهد الرسل الى هذه القرون الاخيرة قد اعتبرت ترجمة الكتب المقدسة اليونانية المعروفة بالسبعينية كالترجمة الرسمية دون ان تفرق بين الاسفار القانونية الاولى (protocanoniques) المكتوبة بالعبرانية والثانوية (deutérocanoniques) الموحى بها بالكلدانية او اليونانية . (راجع مقالة حضرة الاب رباط المعنونة «الكتاب المقدس والكنيسة الارثوذكسية في الشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٨٠١—٨٣٠) . والحال انّ الكنيسة الانكليكانية تنفي من توراتها الاسفار الثانوية وتنكر صحتها ولذلك قد نهى البطريرك القسطنطيني غريغوريوس السادس في المجمع المنعقد سنة ١٨٣٦ عن مطالعة التوراة البروتستانية وحرّمَ الذين يحضرون اجتماعاتهم الدينية . فيا ترى ايحقّ اليوم الاورثذكس ما فندوه سابقاً باتحادهم مع الكنيسة الانكليكانية ؟

هذه ملحوظات نعرضها على كافة ابناء الكنيسة الاورثذكسية في اقطارنا ليقيسوها بعيار الحكمة ويعرضوها على محك الانتقاد الخالي من كل غرض . فليحكموا ايمكن لبطريرك الفنار الجديد ان يؤمل خيراً من تقربه الى الكنيسة الانكليكانية ؟ او يجوز لسيادة المطران مسرّة ان يحضر كما يقال موتمر الاديان الذي نووا عقدهُ في نيويرك فيصافح من يناصبون تعاليم كنيسته بل ينقضون اساس كل دين باعتبارهم كلّ الاديان متساوية ناجمة عن اختراع البشر . ولا نظنّ ان سيادته نسي كلام يوحنا الرسول في رسالته الثانية : «كلّ من تعدّى ولم يثبت على تعليم المسيح فليس الله له . . . فن أتاكم ولم يأتِ بهذا التعليم فلا تقبلوهُ في البيت ولا تقولوا له سلام » . ومن هنا تظهر حكمة الحبر الاعظم الطيب الذكر بندكتوس الخامس عشر وخلفهِ الحالي

سعيدًا على الكرسي الرسولي بيوس الحادي عشر وقد ألقى كلاهما تعيين مندوبين يحضرون باسمها ذلك المؤتمر لأنهما يأبيان الاتحاد والائتلاف لكن لعلمها بانهُ ليس سلام وألفة الّا في كنيسة المسيح المبنيَّة على الصخرة البطرسيَّة التي لا تقوى عليها ابواب الجحيم وانَّ من لا يجمع مع المسيح ونائبه فهو يفرّق. أنار الله ابصار الخراف الضالّة وضمَّها بمحجات الراعي الذي اقامهُ تعالى لهداها وسلامتها في سعادة الدارين

فن تهذيب الذاكرة

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي (تتمة)

تطبيقات الشكل الاوّل في الحياة العمليَّة

نجيب على سؤال المعترض بذكر بعض تطبيقات الشكل الاوّل في الحياة العمليَّة ومنها تظهر فوائد هذه الطريقة لحفظ عدَّة الفاظ بينها علاقة معنويَّة ولفظيَّة

﴿ الاول : حفظ قطعة شعر او نثر بالحرف الواحد ﴾ افترض ايها القارئ العزيز انك تريد استظهار ابيات احمد بك شوقي المذكورة سابقًا. أعِد قراءتها ثُمَّ ثق ان اسهل وسيلة لحفظها هي حفظ سلسلة الفاظها الآتية: « أنس . حياة . اوحشت . لالا . علت . وغت . خرّت . بساط . مريض . كتاب . تحيَّة » . ويسهل حفظ هذه السلسلة بايجاد علاقات تربط كلًّا من حلقاتها بالحلقة التالية وفقًا لشروحنا السابقة

﴿ الثاني : حفظ سلسلة الافكار الجوهرية في خطاب يراد القاؤهُ ﴾

من البديهي انه يسهل بلوغ هذه الغاية بحفظ الالفاظ المعبّرة عن تلك الافكار . فكم وكم من الوعّاظ والمحامين والخطباء السياسيّين وغيرهم كانوا يأمنون محاذير النسيان الشائن لرونق خطبهم باتباع هذه الطريقة السهلة !

﴿ الثالث : حفظ اعمال عديدة ينبغي اجراؤها على ترتيب معلوم ﴾

ولا يخفى على احد ضرورة ذلك الحفظ على آلاف من الاشخاص الذين يقضون سحابة كل نهار في اشغال عديدة تختلف اليوم عما ستكون غداً . نورد مثالاً عليهم المستخدمين الذين يقضون صباح مساء مئة حاجة لاسيادهم متجولين من جهة الى اخرى وذاهبين من شخص الى آخر. فبدلاً من ان يذكروا عشرين عملاً يلزمهم القيام بها تتابعاً يسهل عليهم حفظ عشرين كلمة دالة على تلك الاعمال

﴿ الرابع : حفظ جدول الفاظ مفيدة لو عوقد يضبطها ﴾ قد يتفق الاحتياج الى ذلك الامر في درس اللغات مثلاً كما لو اردت حفظ الالفاظ الآتية المؤنثة معنى المذكرة لفظاً « رجل . ارض . ريح . سقر . سن . ساق الخ » يتيسر عليك ربطها وفقاً لطريقة بيك بمثل العلائق التالية :

الرجل تسير على الارض . الارض تبرد بالريح . الريح لا تطفئ سقر — في سقر كم قرع النادمون سنهم — سن الوحش عض ساقي الخ . وان استطال القارئ هذه الطريقة اجبناه ان الاختبار — اختبار نحو جيل — قد بين انها اسرع من سواها لبلوغ الغاية المنشودة نعني حفظ عدة الفاظ بترتيبها . ومن حسنات طريقة بيك في التطبيق السابق الذكر انك إن شككت في وجود او عدم وجود كلمة معلومة « ريح » مثلاً في عدد الالفاظ المذكرة لفظاً والمؤنثة معنى فانك تحسم ذلك الشك بدون مراجعة كل جدول تلك المفردات في ذاكرتك كذلك تسلسلها على الطريقة المعتادة بمجرد تذكرك العلاقة الرابطة بينها وبين اللفظة التالية نعني « سقر » . والعلاقة التي اوجدناها على سبيل المثال كانت : « الريح لا تطفئ سقر »

في ما سبق كفاية لبيان بعض اهم تطبيقات حل الشكل الاول القائم في حفظ سلسلة الفاظ لا علاقة بينها

﴿ ٢ الشكل الثاني : حفظ معلومات لا تلاحم معنوي بين اجزائها ﴾ نريد المعلومات التي ليس بين مفرداتها علاقة تساعد الذاكرة على حفظها دون المفردات . والارقام . هناك مثالين على ذلك : الاول ان تحفظ اسماء كل اقطار العالم وعواصمها — والثاني حفظ اخص قواعد النحو او الجبر

ان اسهل طريقة عمومية لحفظ تلك المعلومات هي ان تنظمها شعراً قبل ان

تودعها في خزائن الذاكرة . أفلم تلاحظ ان الشعر بوزنه وقافيته ورنّته ألوطُ بالقلب واقرب الى الاذن من النثر ؟ وبناء على ذلك نرى عدداً لا يحصى من المؤلفين قد نظموا آلافاً من الابيات ادرجوا فيها هـذا علمَ النحو وذاك علمَ الجبر والثالث مبادئ الفلسفة الى غير ذلك من المعارف البشرية . فكان عملهم مع وعورة مسلكه خدمةً جليلة لآلاف من الطلبة اذ يخفف عنهم عبء الاستظهار المملّ ولاسيا في استعدادهم للامتحانات الرسمية

وقد جرى على هذه الخطة احد مشاهير كتّابنا في العصر المتصرم نعني الطيّب الذكر الشيخ ناصيف اليازجي في مؤلفه « مجمع البحرين » . ففي احدى مقاماته من ذلك الكتاب ارجوزته المختصرة في علم النحو وهاك اولها :

بسائط الكلام حين يُبنى اسمٌ وفعلٌ ثم حرفٌ معنى
والحرفَ واسماً مثلهُ والفعلا كالم يثنوا وأعربوا ما فضلا الخ

وله ايضاً هذه الابيات المنطوية على ابراج السماء :

من البروج في السماء المنزلُ تنزل فيه الشمس اذ تنتقلُ
والثور والجوزاء ثم السرطانْ وسرطانٌ اسدٌ وسنبلهْ
كذلك الميزان ثم العقربُ قوسٌ وجدي دلوٌ حوتٍ يشربُ

وقد سبق اليازجيَّ كثيرون من كتّاب العرب فلم يدعوا علماً الّا نظموه ارجوزةً . وللفرنج امتياز في هذه الطريقة الشعرية . فالاباتي الفرنسي فلاش (Flèche) نشر جغرافية فرنسة المنظومة شعراً وفيها لكل مقاطعة بيتان ينطويان على اسمها واشهر مدنها مباشرةً بقاعدتها مثال ذلك :

Seine-et-Oise a Versailles, au château sans pareil,
Pontoise, Rambouillet, Mante, Etampes, Corbeil.

ومن اعظم الكتب المدرسية شيوعاً بفرنسة في الجيل الاخير كتاب يُدعى « بستان جذور اللغة اليونانية » وكانت الجذور مندمجة في ابيات تسهّل حفظها الطلبة . اخيراً لا يخفى على كثير من قرائنا ان وصايا الله تعالى قد أدرجت نظماً في كتاب التعليم المسيحي الفرنسية . فلا حاجة الى ذكر امثلة أخرى لبيان فائدة الطريقة التي نحن في صددها .

﴿ ٣ الشكل الثالث : حفظ الارقام ﴾ هذا ضروري او مفيد على الاقلّ في كثير من الظروف مثلًا في درس الرياضيات والتاريخ بل في العلاقات الاجتماعية العادة كما لو دلّك شخص قابلتهُ في الطريق على عدد بيته في الشارع الفلاني ولم يكن في جيبك قلمٌ لتقييد ذلك العدد

قد سبقت لنا الاشارة الموجزة الى طريقة حلّ هذا الشكل . فقلنا انها عبارة عن ابدال الارقام بالفاظ — فان هذه اسهل حفظاً من تلك — وايجاد علاقة عقلية او اصطلاحية بين الطرفين لكي يسهل الانتقال من لفظة معلومة الى الرقم الذي تنوب منابهُ . ومن اشهر الطرق المستخدمة لهذه الغاية الطريقتان الآتيتان :

﴿ الطريقة الاولى ﴾ اوعر مسلكاً . قوامها ان تبدل كلّ رقم بلفظة تُساويه بعدد احرف نحو أن تجعل «ولد» بدلًا من «٣» و«طيب» بدلًا من «٤» و«مدينة» بدلًا من «٥» و«مستعمرات» بدلًا من «٨»

هذا اذا اردتَ حفظ رقم واحد . أما اذا أُلجئت الى حفظ عدد مركب من رقمين فاكثرفعليك ان تجعل علاقةً معنوية بين الالفاظ النائبة عن الارقام فتكوّن من مجموعها جملة سهلة الحفظ . مثال ذلك قولك «سافر صديقي العزيز» دلالة على العدد ٦٥٤

ومن اجمل تطبيقات هذه الطريقة مضمومةً الى السابقة على يد احد الفرنسيين انه نظم عدة ابيات يدل تتابع الفاظها على سلسلة ارقام الحرف اليوناني π وهو كما لا يخفى مستخدم في الرياضيات للدلالة على النسبة العددية بين محيط الدائرة وقطرها . ومطلع تلك القصيدة الغريبة كما يأتي :

Que j'aime à faire apprendre un nombre utile aux Sages!

وهذا البيت السهل الحفظ يشير الى العدد الآتي : ٣، ١٤١٥٩٢٦٥٣٥

فاذا فرضنا ان احد الرياضيين المحتاجين كثيراً الى العدد π في حساباتهم قد استظهر الابيات العشرة الاولى من هذه القصيدة فانه يحفظ بدون عناء، يُذكر نحو تسعين رقماً من ذلك العدد غير القابل التحديد

﴿الطريقة الثانية﴾ اسهل من الاولى لانها لا تبدل كل رقم بكلمة مساوية له بعدد الحروف بل باحد حروف الهجاء الساكنة الواقع في بدء كلمة اوفي بدء مقطع

كلمة . وهي الطريقة الشديدة الرواج حاضرًا في عدّة بلاد يُعزى اختراعها الى الفرنسي إيمه باري (Aimé Paris) وقد نشر ابتكاره سنة ١٨٢٠ نعني من نحو جيل

وهاك وفقاً لطريقة باري جدول الارقام العشرة وما يقابلها من الاحرف الساكنة الفرنسوية

s , z , c = 0	l = 5
t , d = 1	ch, j = 6
n = 2	k, g dur , c dur = 7
m = 3	v, f = 8
r = 4	p, b = 9

فترى ان الحروف الساكنة المتقاربة مخرجاً تنوب مناب رقم واحد وعلى هذا النمط يتيسر استخدام كل الابجدية . وقد جمع احد الفرنسيين الجدول السابق الصعب الحفظ في الجملة الآتية التي تلج الذاكرة بسهولة :

Sot tu nous mens, rends les champs qu'a faits Pan (1

فالحروف الساكنة في اوائل كلمات هذه الجملة تتلاحق كما في الجدول السابق . قلنا فيما مرّ بك ان طريقة ابدال الارقام بالحروف الساكنة على النوال الآنف شرحهُ قد راجت سوقها من نحو جيل عجيبَ الرواج في كلّ البلاد الاوربية وفي ارقى الجمهوريات الاميركية . والحال اننا لم نسمع قط بشيوعها في الشرق على شكلها السابق او ببعض التغيير . أجل ان حساب الجمّل رائج البضاعة في بلادنا من اجيال عديدة . وهو مبنيّ على نفس مبدأ الطريقة السابقة لكنه وُضع لغير ما وُضعت لهُ . وعلى رأينا الضعيف انه على حالته الحاضرة لا يؤدي خدماً تُذكر بل هو بمثابة ملهاة يتلاهى بها الشعراء حين تطول بهم اوقات الفراغ . ثم انه لايقدر بشكله الحالي على القيام الكامل بوظيفة الجدول الغربي لابدال الارقام بالحروف الساكنة . والحالة هذه نلتمس من القراء عذرهم لتجاسرنا رغماً من قصر الباع على عرض الجدول الشرقي الآتي على محكّ انتقادهم :

(1 بان (Pan) عند الاقدمين إسم اله الرُّعاة والقطعان

١ = أ : ر . ل	٦ = و : ف . ص
٢ = ب : ق . ك	٧ = ز : ظ . ذ
٣ = ج : ش . غ	٨ = ح : خ . ث
٤ = د : ض . ن	٩ = ط : ت
٥ = ه : ع . م	الصفر = ي : س

لقد لاحظتَ ايها القارئ الفطن اولاً اننا اتخذنا الاحرف العشرة الاولى في حساب الجمل بصفة ركن وطيد لجدولنا وذلك طبعاً لتسهيل حفظه (١ . ثانياً حيث لاحاجة في ابدال الارقام بالحروف الساكنة الى غير عشرة ارقام قد زدنا على كل من احرف الجمَل العشرة حرفاً او حرفين بمراعاة تشابه المخرج على قدر الامكان مقتدين في ذلك بطريقة إيمه باري السابق ذكرهُ

ثم اننا جمعنا كل الاحرف المعبّرة عن رقم واحد في كلمة عربيّة بقدر الاستطاعة وذلك تسهيلاً لحفظ جدولنا على من يريد استخدامهُ وتحصيل بعض فوائده المذكورة في آخر مقالتنا . وهاك الكلمات التي احرف كل منها تنوب مناب الرقم الذي يعلوها :

١	٢	٣	٤	٥
رَألْ (٢	قَبْكِ (٣	شَجْغ	نَضَدَ	عَمَهْ
٦	٧	٨	٩	صفر
وَصَفَ	زَذَظ	حَثَخ	طَت	سِيْ

بقي علينا الآن بيان كيفية استعمال هذا الجدول لتسهيل حفظ الاعداد قصيرةً كانت او طويلة . امامك ايها القارئ طريقتان رحبتان لبلوغ تلك الغاية فاختر منهما ما

(١ يحسن بالمتعودين على حساب الجمّل ان ينبذوا جدولنا ظهرياً ويجعلوا كلّ حرف يدلّ في ذلك الحساب على عدد معيَّن من العشرات والحرف الدالّ على نفس ذلك العدد من المئات بقية الحرف الدالّ على ذلك العدد من الآحاد · بناء على ذلك تكون الالف والياء والكاف والراء بمعنى اثنين وهلمّ جرّا

(٢ الرأل هو فرخ النعامة (٣ قبَّ يدَ فلان بمعنى قطعها

يروق لك: الاولى ان تنيب عن الارقام احرفاً ساكنة واقعة في اول مقاطع(١ كلمة او كلمتين او اكثر حسب طول العدد المراد حفظه. مثال ذلك ان الجملة « لبنان بلدٌ جبل » تنوب مناب العدد ١٥٣٤١٢٤٤١

الثانية ان تنيب عن الأرقام احرفاً ساكنة واقعة في اوائل بضع كلمات. مثلاً: « اهلاً وسهلاً يا عزيزي » تنوب مناب العدد ٥٠٠٧١

وبما انه يحسن في الطريقتين اختيار كلمات مرتبطة بالمعنى على قدر الامكان فانه يلوح لاول وهلة ان الاولى مع صعوبتها انسب للتعبير عن عدد كثير الارقام

الآن قد وفّينا الشرح النظري حقّهُ ولا ننكر ان فيه بعض الوعورة. على ان القارئ سيجني ثمرة انتباهه الى الايضاحات السابقة في لذيذ التطبيقات اللاحقة

تطبيقات المشكل الثالث في الحياة العملية على الطريقة العربية السابقة الذكر

(اولاً: في حفظ التواريخ الشهيرة) كل من له المام متوسط بالتاريخ يتذكر في كثير من الاحوال الجيلَ الواقعَ فيه حادثٌ ما من الحوادث الكبيرة الشأن مثل استيلاء الاتراك على القسطنطينية في ١٤٥٣. والحالة هذه فهو لا يحتاج الى سوى تذكر رقمَي الآحاد والعشرات وذلك بان يُنيب عنهما كلمتين متلاحقتين معنى ملمحتين بقدر الامكان ولو عن بُعد الى الحادث المراد حفظ تاريخه. مثلاً « غارةٌ هائلة » تنوب هنا خير مناب عن تاريخ فتح القسطنطينية. فان الغين تدلّ على ٣ والهاء على ٥

ليتأمل القارئ في عظم الفرق بين صعوبة حفظ التاريخ ١٤٥٣ الذي لا رابطة تربطهُ بالفتح المذكور وبين سهولة حفظ الكلمتين « غارة هائلة » الدالتين دلالة كافية على الحادث وعلى تاريخه. وقس عليه مئات من التواريخ. فدونك مثالاً يساعدك على حفظ تواريخ جلوس امراء العيلة الخديويّة على هذا النمط :

محمد علي باشا : ١٨٠٥ = « مجدُ السُّدّة (٢

عباس باشا الاول: ١٨٤٩ = « تسلُّط دقيقة » (٣

(١ تقسيم الكلمات الى مقاطع متعددة يجري هنا كما في قواعد العروض. مثلاً « متقاطعين » مركبة من خمسة مقاطع وهي م تَ قا ع ين

(٢ لا حساب لاداة التعريف فاول حرف ساكن في السدة هو السين

(٣ في هذه الجملة اشارة الى ان عباس الاول اقصر امراء مصر مُلكاً في الجيل الاخير

سعيد باشا : ١٨٥٤ = «دام عزّه» (١
اسماعيل باشا : ١٨٦٣ = «جاش صدرُه» (٢
توفيق باشا : ١٨٧٩ = «تمّ غلبُه» (٣
عباس باشا الثاني : ١٨٩٢ = «باد تاجُه»
السلطان حسين : ١٩١٤ = «ضاء افقُه» (٤
الملك فؤاد : ١٩١٧ = «ذلّل الاعداء» (٥

ترى من هذا المثل كم يسهل عليك تعلّم مئات من التواريخ على منوال سهل ومعقول يجمع بين السهولة واللذة . وقد جرّبنا هذه الطريقة غير مرّة في درس التاريخ فجنينا منها فائدة عظيمة

﴿ ثانياً : في درس الرياضيات والطبيعيات وما شاكلهما ﴾ كل من له بعض الاحاطة بمبادئ تلك العلوم يفقه ضرورة حفظ اعداد كثيرة جوهرية . مثال العدد π السابق ذكرهُ . ولا اسهل من تطبيق طريقتنا العربية في هذا العدد كما في التواريخ الشهيرة . خذ مثلاً العدد الذي اقترحنا عليك قبلاً حفظهُ ١٧٣، ٦١٧، ٤١١، ٢٣٢، ٦٨٢، ٦١٦ . فلعلّك تظنّ انّ ذلك اعزّ من بيضة الديك مع انهُ اقرب اليك من راحتك على شرط ان تحفظ هذا البيت البسيط :

غزالٌ ظريفٌ وآتي بنابٍ كثيفٍ فأجفلْ

فيكفيك ان تبدل كل الحروف الساكنة الواقعة في اوّل مقاطع الكلمات بالارقام المقابلة لها . فتستطيع بعد عشرين سنة ونيّف ان تكتب العدد السابق بارقامه الثانية عشر دون كلفة . وقد راجت هذه الطريقة لحفظ الاعداد الكثيرة الارقام في درس التاريخ والرياضيات في ارقى البلاد . ونفيد القرّاء ان احد المؤلفين واسمه كستيليو (Castilho) وضع قاموساً نظم فيه الاعداد المهمة مرتّبةً وبازاء كل عدد كلمات فرنسية تصلح للتعبير عنه . فيسهل على المرء ان يجد بدون إجهاد فكره كلمتين او اكثر متلائمة المعنى لحفظ عدد معلوم كثير الارقام

١) اشارة الى بورسعيد المخلّدة لذكره ٢) الماح الى علوه وبلاياه في اواخر ايامه
٣) اشارة الى تحقّق ما كان يرقبه من تداخل الانكليز في ادارة بلده
٤) اشارة الى ارتقائه غير المتوقّع الى السدّة المصرية وتحرّر بلاده من النير التركي
٥) الماح واضح الى الغاء الحماية البريطانية على مصر واعلان الاستقلال المصري

﴿ ثالثاً : العاب شبيهة بالمعجزات ﴾ يسوغ لنا بعد الايضاحات الطويلة السابقة ان نترك اليراع فقد طال بنا هزّه لتسطير هذه المقالة . على اننا لا نريد ان نحرم القرّاء مما في هذا الفصل الاخير من الالعاب العجيبة المستظرفة التي يستطيع بعضهم استخدامها لترويح الخواطر ولاسيما اثناء السّهرات العائلية الطويلة نذكر منها لعبتين فقط

﴿ اللعب الاول ﴾ اقترح على احد الحضور انك تُملي عليه عدداً ذا مائتي او ثلاثمائة رقم وفقاً لارادته وانك تستطيع متى شاء ولو بعد شهر كامل ان تعيد له ذلك العدد بترتيبه من ظهر القلب . لا اظنّ جليسك الّا زاعماً انك تهزأ به او تريد ممازحته . على ان التجربة تؤكد له ان قولك جدٌّ لا مزاح . واسهل طريقة لاجراء هذا اللعب ان تُملي عليه الارقام المقابلة لكل الحروف الموجودة في قصيدةٍ قد رسخت بذاكرتك . فهذا مثلاً بيتٌ لنجيب الحداد :

وغابت مصابيحُ النجوم كأنما　　طفاها نسيم الفجر من فمه الوردي

يُقابلها العدد : ٩٢١٣٦ ٨٠٢١٦٥ ٥٦٣٤١١ ١٥٤١٢ الخ

ومن البديهي ان بعض التمرّن يجعلك تنتقل فوراً من الارقام الى الحروف وبالعكس

﴿ اللعب الثاني ﴾ إقترح على جليسك ان يريك عشرة اوراق متتابعة من ورق اللعب المعروف بالشدّة وذلك بعد اسقاط الاوراق المصوّرة وعددها اثنا عشر كما هو معلوم . وعده انك بعد التأمل اليسير في كل من هذه الاوراق العشرة تستطيع بعد يوم بل بعد اسبوع ان تذكر له نوع تلك الاوراق مع المحافظة على تتابعها الاصلي . ودونك الطريقة السهلة لصنع هذه المعجزة : اجعل لكلّ من الالوان الاربعة الداخلة في ورق اللعب حرفاً اصطلاحياً تبدأ به الكلمات الدالّة على كل الاوراق التي من لون واحد . ثم اجعل آخر كل كلمة حرفاً ساكناً يشير الى العدد المرتسم على كل ورقة بغضّ النظر عن لونها . فيتضح لك ان حفظ عشر كلمات ليس الّا يكفيك للاتيان بالآية التي وعدت صديقك بها

ولدينا العاب اخرى طريفة مبنيّة على الافادات السابقة يقتضي شرحها بعض الاطالة نؤجّلها الى فرصة اخرى . وما ذكرنا منها هنا يظهر كالمعجزات في عين من

يجهل فنّ تثقيف الذاكرة مع انها في واقع الحال بسيطة سهلة لارباب ذلك الفنّ وفرسان ميدانه

وخلاصة القول ان الفن المذكور قد بلغ في عصرنا هذا اوج كماله او يكاد . وهو على اختلاف انواعه جليل الفوائد لمن يريد تزيين ذهنه بقصائد عظماء الشعراء ، او تسلسل الافكار في خطبة عزم على القائها ، او درس التواريخ الشهيرة او اتقان الرياضيّات والطبيعيات على تنوّع فروعها الى غير ذلك مما يصعب حصرهُ في حدود معلومة ، بل ان في ذلك الفن الحديث اسرارًا وكنوزًا عجيبة لمجرَّد ترويح الخاطر من عناء الدروس والاشغال . فالحمد لله الذي كشف لنا كل هذه المنافع والملاذّ الكبيرة على يد العلماء والباحثين الذين هم من اعظم العوامل في ترقية البشر واسعادهم

رسالة قديمة منسوبة الى افلاطون

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

وصفنا غير مرّة في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ١٧٣-١٧٨) مجموعةً فلسفيةً قديمة نقلنا عنها خمس مقالات نفيسة نشرناها في المجلة في اوقاتها . والمجموعة هذه كانت اوّلًا في ملك جناب القانوني الشهير جرجس بك صفا وهي اليوم في مكتبة السيّد الجليل احمد باشا تيمور . فالعدد الرابع من محتويات المجموعة المذكورة هذا عنوانهُ « رسالة افلاطون الحكيم في حقيقة نفي الغمّ والهم واثبات الزهد جوابًا عن سؤال كان سبق منهُ اليه » يتناول من الكتاب ١٢ صفحةً من الصفحة ١١٢ الى ١٢٣

ومن تصفّح هذه الرسالة وجدها اهلًا بقدماء الفلاسفة من حيث صورتها ومعانيها ومسحتها اليونانيّة امّا نسبتها الى افلاطون فغريبة اذ ليس بين اعمال هذا الفيلسوف الشهير التي نعرفها باليونانيّة ما يدلُّ على مثل هذه الرسالة اللهمّ الّا رسالتهُ المنونة بشفاء ادواء النفس (de curandis animae morbis) التي لها بعض الشبه بالرسالة التي نحن بصددها . واقرب من ذلك ترجيح افلاطون رسالتهُ الى فرفيريوس وبينهما ستّة قرون اذ عاش افلاطون في القرن الرابع

قبل الميلاد وفرفيريوس في الثالث بعده. والغالب على رأينا ان الرسالة لاحد المنتمين الى افلاطون المتشيعين بمذهبهِ العلميّ وكان عددهم كثيراً. وعلى كلّ حال انَّ الرسالة هذه من الآثار الحريّة بالذكر. وقد اسعدنا الحظ بوجود نسخة ثانية منها احدث عهداً دخلت منذ زمن قريب في مكتبتنا الشرقيّة فامكنناً بالمقابلة بين النسختين ان نصلح عدّة اغلاط او تصحيفات وقعت فيها فدللنا على القديمة بحرف ق وعلى الحديثة بحرف ح . أمّا معرّب هذه الرسالة فلم يُذكر ولعلّهُ حنين بن اسحاق المذكور في مقالة اخرى من هذا المجموع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

رسالة افلاطون الحكيم الى فرفيريوس

في حقيقة نفي الغمّ والهمّ واثبات الزهد

جواباً عن سؤال كان سبق منهُ اليهِ

بسم الله الملك الحقّ والاله الصادق (الصفحة ١١٢) المسمّى بلغات الافتراق (كذا) المقصود بالاتفاق. القديم الذي لم يزل منشئ مبادئ الحركات الاولى. خالق الاضداد من الإصلاح والإفساد. اظهر بذلك قوّتهُ وابان قدرتهُ. تجاوز حدّ العقول والأفهام والخواطر والاوهام. غير منعوت الذات ولا مُدرَك الصفات. سبحانهُ مُمصر العناصر ومقوّي القوات ومحرّك الحركات. تقدّس اسمهُ وعلا قدرهُ. نور الانوار وزمان الازمان والدهر الداهر سبحانهُ وتقدّس سبحاناً يتّصل بدوامهِ الذي لا تغيّر لهُ ولا فصوم (١ لمدّتهِ ابداً ابداً قدّوساً قدّوساً أيّاهُ أسأل واليهِ أضرع ان يجعلني واياك ممّن خصّهم بصفاء العقل وتسديد الفعل (٢ [بما هو منهُ ولهُ وانّهُ وليُّ الخير وذاتهُ ٣] وهو (٤ على كل شيء قدير

١) في النسخة الحديثة (ح) : ولا تصرّم

٢) وفي ح : وترشيد الفهم

٣) ما تراوح بين معكّفين ناقص في ح

٤) في ح : وهو الازلي

وردَ كتابُك ايدك الله بكرامة (١ التوفيق تسأل ان ابيّن لك ما الغمّ والهمّ العارضان لكثير من العالم وقلّ الناجي والمتخلص منها وكيف لستحواذُهما عليهم مع ما فضّلهم به الربّ (١١٣) جلّ اسمُهُ من العقل والتمييز اذ كان تعالى لم يخلق في مصنوعاته خلوًا في مصلحته بل كلٌّ ما خلقهُ من خلقه مكتفٍ غنيٌّ فلا يُرى شيٌ من الحيوانات محتاجاً الى غيره . ثمّ فضّل الانسان بالنطق والبيان ومعرفة الدلائل والبرهان . ثمّ انهُ يعرض لهُ مع ما هو عليه من شريف الخلق وسنيّ العقل الهمُّ والغمُّ فهل ذلك بحقيقة (٢ موجودة في الحقيقة ام عرضٍ داخل وفكرٍ فاسد بفساد ذاته ونقص آلاته الشفافة بالعقل (٣ المؤدية للفهم

فرأيتُ ان أُجيبك اكرمكَ الله بما أعلمهُ وبما قُيم لي من تدبيره (٤ اذ كان ما نُبادي اليه وان تناهينا فغير واجدين نهاية من العلم حتى نبلغ الى نهايته . فتبارك نهاية النهايات وغاية الغايات وفّقك الله للخير وجعلك لهُ اهلاً ان تعلم ان كلّ ألم غير معروف الاسباب غير موجود الشفاء . فيجب ان نبيّن لك ما الغمّ والهمّ وما سببهما ليكون شفاؤهما ظاهر الوجود ان شاء الله

فالهمُّ تقسيم الافكار وحيرة النفس وخوفها وهو سريع الزوال والانتقال . واما الغمّ فخطرٌ كبير وامرٌ عظيم [يذيب القوة ويقهر الحرارة ويهدم الجسم ويكدّر الاوقات] ويقصر مادةّ العمر . وهو ألمٌ نفسانيّ يعرضُ لفقد محبوب او فوت مطلوب (١١٤) . ولو فكّر اهل هذا العالم الدنيّ التالف بما هم وفيما هم لعلموا انهم اعراض زائلة واشباه حائلة تتصرّف بهم الأيام وتقلّبهم الاحكام . فالواجب ان يبدأوا بالغم على نفوسهم فهي اولى من الغم على محبوباتهم ومطلوباتهم اذ هم يعلمون انهم سيعدمون ما عدموهُ وينتقدون ما فقدوهُ وتقدّمت معرفتهم بذلك وتيقّنوا ان نفوسهم واغراضهم غير باقية لانّ كل ما في عالم الكون والفساد مضمحلّ زائل فكان معنى مرادهم أن طلبوا الثبات والدوام من الفانية المضمحلّة الفاسدة . وانّما الدوام والثبات موجودان في عالم العقل . فكأنّ من طلب من الزمان ما ليس فيه اراد منهُ ما ليس في طبعه . ومن اراد من الطبع ما ليس في الطبع اراد ما ليس بموجود ومن اراد غير

١) ح : ببركة ٢) ح : لحقيقة ٣) ح : في الحقيقة
٤) ح : من تدبيره

الوجود عُدم طلبتهُ والعادمُ طلبتهِ مُنْى شتيٌ فينبغي للعاقل ان يطلب ما يُسعدهُ دون ما يُشتهيه ويحترس (١ من سلوك طريق الشقاء والجهل

واقول انَّ من لم يعرف الزمان ويختبر اصول الاحوال متى زالت عنهُ عادةٌ وجوهُ الدنيا فارق معها الشهوات الحسِيَّة من لذيذ الطعام وطيّب الشراب ومُلح الملبوس والمنكوح وما شاكل ذلك وقد تقرَّرت معرفتهُ انَّها (١١٥) اعراض لا تُملك الَّا من جهتَين: امَّا اكتساب مغالبة او اكتساب بضرب من الحِيَل التي تسميها الناس تجارةً او صناعةً. وتيقَّن انهُ لا بُدَّ ان تضمحلَّ محبوباتهُ ومن لم يدرك ذلك فكأنَّهُ اراد ما قدَّمنا ذكرهُ من الفاسد ان لايكون فاسداً ومن الزائل ان لايكون زائلاً. فاذا اردنا ان لا نُصاب بمصيبةٍ فكأنَّا اردنا ان لا تكون (٢ البتَّة لأنَّ المصائب لا تكون الَّا بفساد الفاسد فان لم يكن فاسدٌ لم يكن كائنٌ (٣ ولو قصد بمحبوباته الثبات والبقاء لقصد طبع البقاء للطاعنة(٤ والزم نفسهُ (٥ في العاجلة القناعة ولم يستقبل ما يأتيه بحرص ولا يُتعب نفسهُ بما زال عنهُ وفاتهُ بندم واسف بل يؤدّب نفسهُ تأديب الملوك الاجلاء الآخذين نفوسهم بحقيقة(٦ الادب فهم لا يستقبلون آتياً ولا يودّعون ظاعناً. فامَّا حشو الناس وهمجهم فشيَمُ كلّ غائب ومستقبلو (٧ كل آتٍ فاذا ادَّب الانسان نفسهُ بأدب الحقّ وأزمها دلائل الصدق استعمل (٨ نفي الغم وزوال الهم كما قد بيَّنا قبلاً واستمتع باللذَّة اليسيرة من عمره

ثمَّ رأينا العادات في الناس تجري مع الطبع بمجاراته (٩ وتتغلَّب وتستحوذ (١٠ عليها فيألفها الطبع ويلزمها بالهمّ (١١ وينصرف اليها(١١٦)ولو الزم نفسهُ لذيذ الطعام فاكل من دونهِ لأشبعهُ وأجزاهُ اذ كانا يتساويان بعد ساعةٍ وبينهما القصد اطراداً من الشبع وانَّما تحصل لهُ لذَّة ساعة حتى لو دام لهُ ما قد استطابهُ لرفضهُ لما شبع منهُ وقلاهُ

وكذلك الملبوسات يحرص الانسان على ما قد الزمهُ نفسهُ وألِفهُ عادتهُ من جليلها ومستحسنها ولو لبس دون ذلك القنعهُ وكلٌّ يتساوى في ستر العورة وشرعة

---

١) ح : ويتحرص ٢) ق : يكون ٣) الاصل فاسداً . كائناً
٤) ق : بالطاعة ٥) ح : النفس ٦) ح : الآخذين بنفوسهم حقيقة
٧) الاصل : مشيي ... مستقبلي ٨) ق : واستعمل
٩) ق : بمجاراة ١٠) ق : وتستحوز ١١) ق : بالهمة

البقا.. ولو تدثّر بالحكمة وتزيّن بزينة العلم الذي هو افضل مذخور وملبوس ومن عن لم يغتمّ لفقد الملبوس وكان كما حُكي عن ديوجانس الحكيم لما عبر به انطياخوس (١ الملك فلم يقم له . فركله الحاجب برجله فقال له الحكيم: أخلقُ انسانٍ او خلقُ بهيمة .. ما حملك على ما صنعتَ بي ؟ قال: اذ لم تقمْ للملك اجلالاً . فاجابه الحكيم: ما لِأقوم لعبد عَبدِي . فادركها (٢ الملك وسمع المقالة ثمّ قال له: من اين لك انّني عبدُ عَبدتك ؟ قال الحكيم: لانك عبدُ الدنيا وخادمُها ومن ترك شيئاً فقد اقتدر عليه فلمّا تركتُها انا اختياراً وخدمتَها انت اضطراراً وجب ان تكون لها عبداً . فعلم الملك مُرادهُ وانهُ حكيم . ثمّ عطفَ عليه بالقول فقال: هل لكَ في صحبتي فانّي مفوّض اليك خزائن الذهب والفضّة . فقال لهُ الحكيم: لو يكون (١١٧) لها قدرٌ (٣ لما اشتري بهما خسيس الاشيا.. فقال له الملك: فأطعمك الطيّبات . قال له: ما فضلُ شبع الملوك على غيرهم ؟ قال لهُ الملك فازيّنك بافخر الثياب (٤ . فاجابهُ الحكيم: انّ الوصيّة سبقت لنا من الحكما ان نزيّن اجسادنا بزينة العلم والتُقى . فبكى الملك وانصرف آنساً منهُ

ثمّ رأينا في عادات كثيرة من الناس شدّة حرصهم على المكسب وجَمْع ما يجمعونهُ حتّى اذا تكامل معهم ما فيه وضوعمدوا اليه فأتلفوهُ بالعبث (٥ ورأوهُ غمّاً ولو مُنعوا من ذلك لرأوهُ غمّاً ومصيبةً . وهذا المخنّث (٦ بالشهرة الفاضحة [من نتف لحيته وحلقها (٧] وحرصه على الاخلاق الدنيّة (٨ لو مُنع منها وأكره على الدخول في زيّ اكابر الناس واخلاقهم لاغتمّ لذلك ورآهُ مصيبةً . وترى الشاطر مع هو عليه من قبح السياسة وكثرة الخطر بالحركات وقطع الاعضاء . وأليم العقوبات وربّما آل امرهُ الى القتل والصلب والشهرة والتنكيل فلو اكرههُ مكروه على لزوم السلامة لرآهُ نقصاً وغمّاً . فنقول الآن: هل (٩ غمّهُ واجب في العقل أوليس ذلك مرضاً فاسداً (١٠ مازج حسًّا فاسداً . وانّ العادات المتقدّم ذكرها جرت ممّن ألفها مجرى الطبع وألزم نفسهُ طلبها

١) ح: فيتوخوس ؟ ٢) الاصل: ادركهم ٣) في الاصل: قدراً
٤) الملبوس ٥) في الاصل: العاث . ولعلهُ العبث
٦) ح: ومكتنا للحبة (؟) ٧) ينقص في ح ٨) ح: والزينة
٩) ق: ان ١٠) ق: عرضاً فاسداً

فاذا قد بيّنّا (١١٨) انّ العادة تجري مجرى الطبع فتصلحه وتُفسده وتمنعه وتسرّه، فيلزم النفوس طبعُ القناعة والخير وإزالة الغمّ فيما يدخله (١ عليها بسوء الطبع والاختيار. لانّ المحبوبَ والمكروه في الحسّين ليسا بشيءٍ لازم في الطبع بل بالعادات فينبغي ان نعوّد نفوسنا السلوة والرياضة وإنْ تعبت فلنصبر على التعب (٢ والمنازعة منها لِما نرجوه (٣ لها من الراحة في العاجلة والآجلة. ألا ترى انّ كثيرًا ممّن تُعارضهم العلل فيؤول امرهم الى قطع لِرْب وكيٍّ عضو يتكلّفون (٤ مضضَهُ وربّما استعملوا البطّ والضماد ومضض الادوية مع ما يتعجّل من النفقة والغرامات والصبر على ما ذكرناه لِما يُرجى من عُقبى الراحة فكيف لا نصبر على مضض النفس في المنازعة الى الباطل واكراهها على المعاودة الى طرق الحقّ والسلامة اذ علاج النفس اقلّ خطرًا واخفُّ مؤونة واعظم قدرًا واذ هي ملكة البدن وبفساد المَلِك يفسدُ امرُ الرعيّة. والشهوات (٥ ملكةٌ على النفس مسلّطة عليها والعقلُ ملكٌ على الكلّ ومادّةٌ من الاصل. فمن كان له عقل اثَر مصلحة نفسه على فسادها وبرّءها على سقامها وليعالجها بادوية الحقّ ومرارة الصبر وأخذ اليقين والكلفة حتى تسلم له وتصبو الى الشهوات الباقية وسكنى دار البقاء من بعد استعجاله إسقاط الغمّ والهمّ اذ كنّا (١١٩) قد بيّنّا انها كما رُوي عن هرمس الحكيم انه قال: أولى الناس بالرحمة من وقع في سوء المَلَكة. قيل له: ومن ذلك؟ قال: مَن كثرت شهواتُهُ فأُذيقت حسراته فهو مسخرت بتصاريف كلّها فانْ نفاها عقلُهُ وقهرها فهو عتيقُ العقل والعقلُ مادّةٌ من الاصل ومن اعتقهُ الله ورحمهُ من شقاء الدنيا كان اولى برحمته وعتقه من شقاء الاخرى(٦. فمن (٧ اراد طريق الحقّ وهو الواضح لمن سلكه فليفكّ نفسهُ من وثاق الغمّ حتى يخلصَ لطلب ما هو احوج اليه وليقلّ قُنيتهُ من اثقال ما في هذا العالم الدنيّ التالف. فقد رُوي عن سقراط انه كان يأوي الى كَسْر جبٍّ قد طُوي ووطي فيه بتراب وقال لمن حضرهُ: من اراد قلّة الغمّ فليقلّل القُنية. فقال بعضهم: يا معلّم وان انكسر بقيّة الجبّ. قال: ان انكسر لم ينكسر المكان ولم اعدم التراب وقد حُكي عن الإدد (كذا) ملك رومية انه أُهدي اليه قبّة ثمينة عجيبة خطيرة

---

١) ح: يدخلها ٢) ح: على مُضَض التعب ٣) ق: يرجوه
٤) الاصل: يتكلفوا ٥) ح: والشهوة ٦) ح: الآخرة ٧) ق: ان

فترح بها وزادت بهجتُه [ومَن حضره بحسنها (١] وكان في جملة الحاضرين حكيمٌ فقال له الملك : ما تقول انت في هذه القبّة (٢ اذ انت مُنبهك عن الكلام ؟ فقال له الحكيم : أقول أنها اظهرتْ منك فاقةً وفقرًا ودلّت منك على عظيم مصيبة متى لحقتها (١٢٠) خطرٌ عارض . فيُحكي انّ الملك اراد التنزّه في بعض الجزائر (٣ من بعد حين من مجلسه (٤ هذا فامر بحمل القبّة تُنصَب له في متنزهه فكُسِرت بها (٥ المركب وغرقت فدخل على الملك عظيم المصيبة ولم يقبض (٦ منها بسلوة الى ان مات فكان من امره ما رآه الحكيم بعين الحكمة

وينبغي ان تعلم انّ كلّ مصيبة ومحزنة من تالف او نائبة مما قدّمنا ذكره اذا تأمّلناها وجدناها تنقضت همومنا واشتغال قلوبنا . واذا تيقّنّا ذلك زال الهمّ عن طبع المصائب [الى طبع النعم ومن هاهنا يتبيّن اصحاب العقل انّ المصائب نِعَمٌ (٧] يجب علينا الشكر فالحمد لوليّها

فتأمّل أيها الاخ هذه القضايا تأمّلاً ثابتاً في نفسك فتنجو بها من آفات الحزن وتبلغ بها درجات اهل الزهادة (٨ غير مُمتلِك اعراض الشهوات على نفسك ولا سالكٍ بها مسالك النعم لا سيّما على ما ليس بواجب في العقل لانّا قد بيّنّا ما فيه مقنع لمن تدبّره ان شاء الله . مع انّ الذي نحزن عليه لا يخلو من ان يكون فِعلنا او فعلَ غيرنا فان كان فعلنا فينبغي ان لا نفعل ما يُحزننا فانّا ان فعلنا ما يحزننا ولا نمسك عن فعله اتينا نحن ما لا نريد (٩ وهذا هو المحال . وان كان المحزن لنا فعلَ غيرنا فلا نحزن على ما ليس لنا وما عارية معنا ولصاحب استرجاعه (١٢١) ان شاء (١٠ . فمن رُزِق التدبير لما قد بيّنّاه فليقلّ منافسته في الاعراض (١١ الفانية وليتأمّل حقائق دلائل الآخرة وليتنافس في طلب اللذّات التي لا يمازجها الكدر ولا يعارضها الفساد ان كانت المصائب تنفذه (١٢

وكثيرًا ما يقدّر الناس مصيبة الموت ويكرهونه وانا اقول انّما يكرهه المقتفي

---

١) ح : بهجتهُ فيها

٢) ق : انت فيها ٣) الاصل : المراكز ٤) ق : مجلسه

٥) ق : فكسرها ٦) ق : يبض ٧) ق : تتم . وما وُضع بين معكّفين وقع من اصل ح

٨) في الاصل : الزيادة ٩) في الاصل : يريد

١٠) في الاصل : اني اساء ١١) ح : الاغراض ١٢) في الاصل : اذ كانت المصائب تفسر

من لم يُعِدْ وفاء الدَّين فامّا من اعدَّهُ فهو اشهى(١ الى مقتضيه من مقتضيه . ولو تدبّر الناس امر الموت لعلموا انهُ محمود غير مذموم لأنّ الموت تمامُ طبيعتنا ولو لم يكن موت لم يكن انسان . لأنّ حدّ الانسان وصفتَهُ هو الحيّ الناطق الميّت فان لم يكن يموت فليس انسان . ومع ذلك فهو البريد الى دار الآخرة وان كانوا يكرهون ذلك ومنالهُ في الحقيقة . ولو عقل الانسان وهو نطفة ممازج للقوة ثمّ خُيّر نقلهُ من نفس الطبائع الممازجة لهُ لم يكن يختار غير ما هو عليه . ثمّ اذا سبقت المشيئة من بارئه والارادة من خالقه فنقلهُ الى ان صار في الانثيين فلو خُيّر الانتقال لم يختر ذلك . ثمّ ينتقل الى الرحم وهو اوسع مجالاً من الانثيين لو خُيّر لاختار الثبات . ثمّ يُنقل كرهاً بعد كره الى الاحشاء والمشيئة لتمام الكمال والكون فلو خُيّر نقلهُ الى فسحة العالم لكره ذلك (١٣٢) ولاختار مقامَهُ . ثمّ انهُ لو يسمّ الرجوع الى ما كان يضيق عليه من الرحم من قبل اختياره ما سواه لما كان يؤثر العودة . ثمّ اذا قصدتَ الارادة ازعاجهُ من جوف امّه وخروجهُ الى نسيم هذا العالم انما ذلك على الكره منهُ . ثمّ لو قيل لهُ من بعد مشاهدة فسحة العالم : ترجع الى جوف امّك وما كنتَ عليه شحيحاً لَرَدّ(٢ ذلك وأباهُ . فكذلك القول مَن نُقل الى عالم البقاء وفسحته وان كرههُ لكلفة النقلة وقلّة المعرفة بما هو اليه صائر من الاغتباط (٣ بدوام البقاء الروحاني لو خُيّر من بعد مشاهدته عالم البقاء الرجوع الى الدنيا فتكون لهُ بجميعها كان كمن قيل لهُ ترجع الى جوف امّك من بعد مشاهدته هذا العالم . وليس الموت مكروهاً لمن قدم وعقل وتبيّن اذ نحن في عالم محدود وفلك محصور ودار زوال وسكنى انتقال

وقد بيّنّا الآن ما هو الهمّ والغمّ على جميع ما في هذا العالم غير ثابتَين في الحقيقة . وبيّنّا ما يألفهُ الطبع الى ان يصير سبباً للهمّ وسبباً للغمّ وانّ كلّ ما كثر من الناس طالبه فغير طالبي حقيقة بل باطل ومحالة . وبيّنّا انّ الموت غير مكروه ورأسُ السياسة العقليّة هو ترك اتّباع الشهوات والهوى وقمع النفس عن باطل الاماني وكاذب المواعيد ولا بُدّ من قطع المدّة وبلوغ الغاية فمن سامح هواهُ ونفسَهُ ندم ومن تدبّر بتدبير العقل (١٣٣) رَشَدَ . ومن سمع الوعظ والحكمة ثمّ لم يعمل بهما

---

١) ح : اقنى ٢) خ : لكره ٣) ح : من قبل الاغتباط

كانا شاهدين عليه وهو عجوج بهما والسلام

تمت الرسالة والحمد لله جلّ الحمد

وجاء في آخر الرسالة السابقة قول لفيثاغورس ملحقة بها كما في الاصل :

قال فيثاغورس : اذا ألقيت شهوة الاستغناء فقد استغنيت . وما اكثر من ظنّ انّ الفقير هو الـذي لا يملك شيئاً وانّ الغنيّ الذي يملك الشيّ الكثير وهذا فقرٌ وغنًى بالعَرَض . فأما الفقير الطبيعي فهو الذي شهواته كثيرة واما الغنيّ الطبيعي فهو الذي لا يحتاج الى احد اعني الذي قد ملك شهوته وضبط نفسه . لأنك اذا ملكت شهوتك فذاك هو الغنى الاكبر لانّ من ملك شهوته فقد استغنى عن العالم باسره

* تمّ والحمدُ لله *

السبحة وكبار الرجال

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد خصّت الكنيسة الكاثوليكيّة شهر تشرين الاوّل بعبادة الورديّة وليست الورديّة سوى طريقة من الصلاة يكرّر فيها المتعبّد الصلاة الربيّة خمس عشرة مرّة يُلحقها كلّ مرّة بعشر مرّات السلام الملائكي ذكرًا للاسرار الخمسة عشر الجامعة لحياة السيّد المسيح ووالدته الطاهرة اي اسرار الفرح واسرار الحزن واسرار المجد يتألف من كلّ قسم من هذه الاقسام الثلثة ما ندعوهُ بالسُّبحة او المسبحة

وهذه العبادة البسيطة التي اوحت بها البتول العذراء الى عبدها القديس دومنيك منشئ الرهبانيّة الدومنيكيّة في القرن الثاني عشر قد شاعت في انحاء البلاد حيثما تبسط الكنيسة الكاثوليكيّة رواقها فأتت بثمار روحيّة لا يفي بها احصاء وانعشت روح الايمان في كثير من الاقطار وكبحت عزّة البدَع وخضدت شوكة الاهواء .

وكأنَّ البتول العذراء مريم ارادت ان تؤيد هذه العبادة بمثلها في زماننا لمَّا ظهرت في لورد للفتاة برنَدِت سنة ١٨٥٨ فكانت سبحة ناصعة البياض على ذراعها تتحدَّر على ثوبها البهيّ . وقد بيَّن الطيّب الذكر البابا لاون الثالث عشر ببراءات متعدّدة كان ينشرها كلَّ سنةٍ ما لعبادة الورديَّة من الخواصّ العجيبة لاحياء الايمان وتوطيد الفضائل في القلوب بتأمل اسرار حياة السيد المسيح ووالدتهِ المباركة

وهذه العبادة التي توافق خصوصاً النفوس الساذجة وادنياء هذا العالم قد وجد فيها ايضاً كبارُ رجال النصرانيّة سلواناً وقوّة . كيف لا وفي تلاوتها ذكرى اخصّ حقائق الدين النصراني مشفوعة بأكرم واسنى مثال من شأنهِ ان يبعث في القلوب همّةً قعساء لطلب عظائم الامور

١ الملوك وعبادة الوردية

شاعت عبادة الورديَّة في بلاط ملوك فرنسة فسبقوا غيرهم في ممارستها . وممَّا يُذكر من ذلك انَّ اكبر ملوك تلك الدولة واعظمهم فضلاً وفضيلة القديس لويس التاسع كان مولدهُ نتيجة صلاة الورديَّة . فان والدتهُ الجزيلة التقوى بلانش دي كستيل اجتمعت برسول الورديَّة القديس دومنيك وطلبت اليهِ ان يدلَّها على اقرب وسيلةٍ لتنال من الله ابناً يكون مجد فرنسة بفضائلهِ الدينيَّة والملكيَّة فأكَّد لها القديس انَّ الله يستجيب دعاءها اذا واظبت على عبادة الورديَّة . فرضيت بوصيَّتهِ ولم تمرّ عليها سنة حتى دُقَّت لها الافراح وتباشرت فرنسة بولد القديس لويس التاسع المخلَّد الذكر (١٢١٥) فجرى على مثال والدتهِ في عبادتها للورديَّة وصار في كلّ اعمالهِ قدوةً لملوك الارض واعيان الدول

وكذلك جاهر فرنسيس الاوَّل ولويس الثالث عشر بعبادتها لورديَّة البتول وتلاوة صلواتها . ولمَّا اهتدى هنريكس الرابع الى الايمان الكاثوليكي بعد تشيّعهِ للبروتستانيَّة لم يكتفِ بممارسة فرائض هذا الدين بل اراد ايضاً ان يتقيَّد بنوافلهِ فكان كلَّ سبتٍ يتلو الورديَّة بتمامها ويوم الاحد ثُلثها اي السبحة

امَّا لويس الرابع عشر المعروف بالكبير فانَّهُ لم يدع يوماً يفوتهُ دون تلاوة السبحة . دخل عليهِ يوماً احد امراء دولتهِ على بغتةٍ فرآهُ وفي يدهِ سبحة ذات حبوبٍ

كبيرة وهو يردّد صلاتها . فلم يتمالك الامير من إظهار اندهاشهِ . فالتفت اليهِ الملك قائلاً : قد اخذك الاندهال اذ رأيتني اتلو السُّبحة . وانا أعدُّ ذلك فخرًا وهي نِعمَ العادة تعلّمتُها من والدتي التقيَّة ولو اهملتُها يوماً لخاسرتُ في الكنز لإهمالي تلك الفريضة

وقد اشتهر في انكلترة ادورد الثالث (١٣١٢—١٣٧٧) بحروبهِ وانتصاراتهِ . وكان اعتاد ايضاً تلاوة وردية العذراء فينسب اليها مآثرهُ . ومثلهُ ملك اسبانية العظيم كرلس الخامس اتخذ تلاوة الوردية ديدناً

ولمَّا حُكم بالاعدام على ماري‑ستوارت ملكة اسكوتلندة بظلم الملكة اليصابات الانكليزيَّة سارت ماري الى منتع الدم بكل رباطة جأش والسبحة في منطقتها

واشتهر ايضاً بملازمة هذه العبادة ملكان آخران في بولونية وهما كزيمير الكبير (١٥٠٩—١٥٧٠) وسجسمند الثالث (١٥٦٦—١٦٣٢) وقد عُرف كلاهما بآثرٍ جمَّة واعمال عظيمة الشأن فضلاً عن تقاهما

٢ كماة الحروب وعبادة الوردية

وان قصدنا رجالاً كباراً غير الملوك ممَّن تفاخروا بأداء عبادة الورديَّة لملكة السماء لتوفَّر عددهم وضاقت المجلّة عن حصر اسمائهم . فكلُّ من لهُ إلمام بتاريخ فرنسة لا يجهل اسم ذلك الفارس « الذي لم يعرف الخوف ولم يأخذهُ لوم » اعني بهِ الفارس بيّار (Bayyad) فاصبح ذكرهُ مرادفاً للبسالة والكمال . فانهُ لم يدع يوماً يمضي عليهِ دون ان يحيّي البتول بصلاة الوردية ويطلب من مريم بركتها جانياً في صدورهِ ووروده وذهابهِ وايابهِ

وليس دونهُ شهرةً وحماسةً وتقىً الكنسطبل حنَّة دي مونمورنسي (Aune de Monmorency) (١٤٩٣—١٥٦٧) البطل الصنديد المكلَّل بتيجان الظفر في عدَّة مواقع كان يحمل على العدوّ حملات شعواء . وهو يتغنَّى بصلوات السبحة فاذا هزم العدوّ عاد الى غنائهِ التقويّ

وما من احد من اهل تيرول الّا وهو يثني على اندراوس هوفر الفارس العظيم الذي خلَّص وطنهُ مع فئات من الفلاحين وهو يردّد صلوات الورديَّة وكان قبل ان يزحف على العدوّ يصرخ الى ذويهِ قائلاً : اجثوا على الركب واهتفوا بصلاة الورديَّة . فان

صوتها اشهى اليَّ من صوت الميدان واذا سمعها الربّ يُسرع الى اغاثتنا

ومثلهم ابطال فندية المتطوّعون لمّا قاموا في اواخر القرن الثامن عشر في وجه الثورة الكبيرة ليدافعوا عن دينهم واستقلالهم فانهم كانوا ينقضّون على اعدائهم والسيف في يمناهم والسبحة في شمالهم فكانوا اشدّ من الاسود وأرهب من العقبان

٣ نوابغ الرجال وعبادة الورديَّة

وكما كان كماة الحرب يجدون في ورديّتهم قوّة جديدة في ساحات الوغى كذلك كثير من كبار العلماء كانوا يلتجئون الى الورديّة لينالوا بواسطتها نورًا يرشدهم الى اكتشاف معلوماتٍ جديدة او يفكّ لهم مُعضلات المشاكل. فنهم كريستوف كولمبوس الذي كان يلتجئ الى مريم العذراء في كلّ اسفاره واكتشافاته وقد دعا سفينتهُ التي مخرت به الى اميركا باسم البتول مريم وكثيرًا ما حجَّ الى مزاراتها وقد اطلق اسم العذراء مريم على عدّة جزائر اكتشفها واسمها باقٍ الى اليوم. وكان يعلّم نوتيّته سلام الورديّة

نبغ في صناعتي النحت والتصوير في القرن السادس عشر ميكال انجلو والى اليوم تُرى سبحة الورديّة التي كان يتلوها في حياته معلّقةً على جدران داره في فلورنسة. وكان ميكال انجلو لا يتجشّم سفرًا الّا قدّم عليه تلاوة الورديّة . ومن مخترعاته الظريفة في صورة « الدينونة الاخيرة » التي تزين بلاط الباباوات ومعبدهم السكستي انهُ رسم صورة نفسَيْن بلغت احداهما جنان الفردوس فتمدّ الى رفيقتها سبحة تتشبّث بها فتصعد هي ايضاً الى الاخدار السماويّة

اشتهر بين نوابغ الموسيقيين رجلان عظيمان هَيدن (Haydn) (١٧٣٢–١٨٠٩) وموزار (Mozart) (١٧٥٦–١٧٩١) . فكان الاوّل اذا اعتاص عليهِ ابتكار نغمة موسيقيّة لسببٍ ما يعمد الى الورديّة ثمّ يعود الى قلمهِ فيجدهُ سيّالًا تتسارع الى فكرهِ اشجى الانغام وارقّ القدود . امّا موزار فكانت السبحة في يدهِ احبّ جليس والطف انيس فيندفع بوحيها الى ارخم الاصوات ويبعث في قلوب سامعيهِ اشرف العواطف

وكان معاصرًا لهذين الموسيقيين نابغة آخر يدعى كريستوف غلوك (Ch. Gluck)

(١٧١٤—١٧٨٧) كان وهو غلام فقير يفتن القلوب بصوته الرخيم في كنيسة فينّة عاصمة النمسة فن يصغي اليه تتحدّر الدموع على وجنتيه . فجاءه يوماً راهبٌ بعد الصلاة وضمّهُ الى صدره شاكراً لهُ على ما اثار في جنانهِ من عوامل التُّقى ثم اهداهُ سبحةً وقال : اتلُها يا ابني كلّ يوم فانها تفتح لك باب السعد . فجرى الغلام على هذه النصيحة ولم يزل يترقّى في المناصب حتى صار كبير رؤساء الموسيقيين في بلاط ملوك النمسة . على انّهُ كان اذا انتهى من عمله يحيد عن ضوضاء العالم ويطلب لهُ زاويةً منفردةً فيتلو سبحتهُ جاثياً على الركب . ولمَّا وافتهُ المنيَّة كانت سبحة الراهب في يدهِ تلوّيهِ على اوجاعهِ وتملأ نفسهُ تعزيةً

يبارك الارلنديّون ذكر اوكونل خطيبهم المصقع والدافع عن استقلالهم بازاء الانكليز ظالمي وطنهِ منذ ثلثمائة سنة . فهذا الرجل العظيم كان بتقواهُ اعظم منهُ ببلاغتهِ . فكان اذا سار الى مجلس النوّاب وهو مندوب ارلندة يمسك بيده سبحة الورديّة فيتلوها علانيةً فاذا رقي منبر الخطابة استفزّ ببلاغتهِ انكلترة كلّها

نبغ في فرنسة احد اطبّائها النطاسيين الدكتور يوسف ريكاميه (J. Récamier) (١٧٧٤—١٨٥٢) الذي طبّقت شهرتهُ انحاء اوربّة لاسيّما بما اخترعهُ من الادوات لفحص بواطن البدن (le spéculum) فهذا الرجل العظيم الذي كان يشار اليهِ بالبنان حيثما سار كان اذا دُعي الى علاج مريض أعيا على غيره شفاؤهُ يلتجئ الى تلك الدعوة شفاء المرضى بتلاوة سبحتها فينسب اليها العلاجات العجيبة التي جرت على يدهِ . فكان رصفاؤهُ اذا اثنوا عليهِ لعلمهِ وعملهِ يُخرج من جيبهِ سبحتهُ فيقول : انّ الادوية البشريّة كثيراً ما تعجز عن شفاء العاهات . امّا انا فاني التمس انوار الطبيب الاعظم مستشفعاً بالبتول الطاهرة فاتلو بيتاً او بيتين من السبحة ريثما ابلغ بيت المريض . فهذا سرّ ما يُنسب اليَّ من العمليّات والشفاءات الغريبة *

في هذه السنة احتفلت جمعيّات العلوم في فرنسة وسواها بذكر احد نوابغ المعارف الطبيعيّة في العصر المنصرم وهو اندره ماري أمبار (A. M. Ampère) (١٧٧٥—١٨٣٦) فأقيمت الاعياد الشائقة والحفلات الرائقة لذكر المئة السنة منذ توفّق ذلك الطبيعيّ العظيم لمعرفة سرّ المجاري الكهربائيّة والمغناطيسيّة التي فتحت عالماً جديداً للاكتشافات العصريّة مباشرةً بالتلغراف . فهذا النابغة أدّى بهِ علمهُ الى

الايمان الحيّ . وقد اخبر فريدريك اوزانام ذاك رجل الخير العظيم . الذي شركات مار منصور دي بول كيف انه لما اتى الى باريس وهو في شرخ الشباب دخل كنيسة من كنائسها فلمح قريباً من هيكلها رجلاً جاثياً على ركبتيه مستحراً بالصلاة وفي يده سبحة العذراء . فتقدم اليه ليستوضحه فاذا هو امبير الكبير الذي طارَ ذكره الآفاق . فأثر هذا النظر في اوزانام اي تأثير فخر ساجداً وراءه الى ان أنهى صلاته والدموع تجري على خديه . وكان من دأبه ان يقول بعد ذلك : « ان مسبحة امبار حاكت في نفسي واثرت فيها اكثر من جميع كتب العالم وخطب الواعظين »

وكان حقنا ان نضيف الى ما سبق فصلاً آخر فندعوه « اولياء الله والوردية » الا ان باباً كهذا لا تكفيه الصفحات القليلة بل المجلدات الضخمة فنمثل الاضراب عنه . وانما نذكر فقط حادثاً جرى لاحد حجاب نابوليون الاول وهو الدوقة اوغست روهان شابو (Duc de Rohan-Chabot) (١٧٨٨—١٨٣٣) هذا كان من اسرة عريقة في الشرف جامعاً لكل السجايا الحميدة فعرف نابوليون فضله ولقبه باسم لاون فكان يسير في خدمة سيده حيثما يذهب . فاذ كان الامبراطور يوماً جالساً في مسرح باريس المعروف بالاوبرا وحوله كثير من الملوك الذين غلبهم وعن يمينه حاجبه وكلهم آذان وعيون ليتمتعوا بالرواية المعروفة « بطلّيا » لحظ نابوليون ان حاجبه يستر ركبتيه بفروٍ ويداه محجوبتان تحت الفرو دون حراك فمد الامبراطور يمينه الى الدوقة ودس يده تحت الفرو فامسك يد حاجبه واذا بها سبحة الوردية . فاحمر وجه الدوقة وظن ان الامبراطور يُسمعه كلاماً مرّاً ويوسعه شتماً لكنه قال له بلطف : « يسرني يا اوغست ان أراك متمسكاً من العاب المرسح وخزعبلات الممثلين فاني اعدك ذا قلبٍ شهمٍ ولا بد ان تكون يوماً رجلاً ممتازاً » . ثم رد له سبحته قائلاً : واصل صلاتك فاني لا اشغلك عنها . فلم يجسر احد من السامعين ان يسخر من الدوقة بعد استماعهم لكلام الامبراطور . اما الحاجب المذكور فبعد وفاة زوجته زهد في العالم وصار كاهناً ثم كبير اساقفة بزنسون ثم كردينالاً فطار كنيسة فرنسة باسمى الفضائل ولاسيّما بحبّه نحو الفقراء والبائسين

ويسرنا ان نختم هذه النبذة بما حرره احد نوابغ الكتبة في اسبانية دونوزو كورتس (Donoso Cortès) سفير دولته في باريس :

«اني واثق اعظم ثقة بأنّ الذي يصلّون يخدمون العالم خدمةً اجلّ من الذين يحاربون . وفي رأيي انّ العالم في تقهقر وانحطاط لانّ الحروب فيه اوفر من الصلوات . فلو امكننا ان نستطلع اسرار الله ومكنونات التاريخ لأخذنا الدهش من عظم مفاعيل الصلاة حتى في الامور البشريّة . لا تستطيع الهيئة الاجتماعيّة ان تكون في التوازن الواجب وتنال الراحة المرغوبة الّا اذا رافقت الصلاة عمل البشر وامتزجت الهيئة الروحيّة بالهيئة العمليّة . واني لمتأكّد انهُ لو خلا العالم في يوم واحد وساعة واحدة من صلاةٍ تتصاعد الى السماء سيكون ذلك اليوم وتلك الساعة آخر أيام العالم وآخر ساعة الكون»

القضاء في الاسلام

نظر انتقادي للشاب الاديب لويس دي برون

وقفنا على نصّ محاضرة القاها في نادي المجمع العلمي العربي جناب عارف بك التكدي مفتّش العدليّة العام واستاذ علم الاجتماع في مكتب الحقوق بدمشق في ٢٩ تموز من العام المنصرم فنشرها بالطبع في هذا العام في مطبعة الترقّي . فاقبلنا عليها بكل شوق لحرصنا على الدروس الشرعيّة ولاسيّما الاسلاميّة التي نخوض عبابها منذ زمن ليس بقصير

وزادنا شغفاً بمطالعة المحاضرة مدارها على مسألةٍ كنا بحثنا فيها سابقاً اعني اصول الفقه الاسلاميّ الذي كنّا وجدنا بينهُ وبين الفقه الروماني توافقاً عظيماً في امور كثيرة . فأخذنا العجب اذ رأينا صاحب المحاضرة الاديب ينكر ذلك ويخالف نتائج ابحاثنا فأحببنا أن نطّلع على ما لديهِ من البراهين . لعلّنا نُصلح بها ما غلب على ظنّنا وهماً . فوجدنا المؤلف يحصر مقالتهُ في خمسة ادلّة نعرضها تباعاً بحرفها الواحد ونبدي ما وجدنا فيها من غثّ القول وسمينهِ

يقول عارف بك :

١ انّ القانون الروماني لم يتم وضعهُ الّا في بضعة عشر قرناً . . . أمّا القضاء في الاسلام فانّهُ وان كان نضج في فترة قصيرة لم تبلغ القرنين . . . فليس يصحّ ان يقال فيهِ انّهُ نقل نقلاً او اُستمدّ استمداداً وهو قد غذا على الأيام ومع الحاجة وكانت لهُ مصادر معروفة . أخذت من

الكتاب. والسنّة. صراحةً او استنتاجاً او قياساً. وأُضيف اليها الاجماع وقد بُني كثير منها على العادات في الامم التي دخلت تحت لواء الاسلام

٢ انّ التاريخ ذكر لنا ما اخذهُ العرب في النهضة العباسيّة من غيرهم من الامم من العلوم بعضها او كلها كالفلسفة والطب والفلك . . . فعرفنا اسماء المترجمين والمعرّبين في كلّ فنّ وعلم وعرفنا المصادر التي اخذوا منها واللغات التي نقلوا عنها ولم يذكروا انهُ حصل شيءٌ من مثل ذلك في القضاء.

٣ انّ العلوم المنقولة بقيت عليها في لغتها مسحة من العجمة وفي مفرداتها الفاظ غريبة عن العربيّة خلا هذا القضاء. فقد جاء عربيّاً صحيحاً مفرداً ومركّباً . . .

٤ اذا كان بين الشريعتين تشابُه في بعض الاحكام فذاك انّ الشريعة في كلّ أمة تعتمد في مصادرها ايضاً على العرف والعادات والحالات الطبيعيّة . . . ثمَّ لو صحَّ ان تكون الشريعة الاسلاميّة استقت من القانون الروماني لما كانت سلمت من ان يتسرَّب اليها والى عقول اصحابها شيءٌ من الترهيلات التي كانت تجري في مواطن هذا القانون كمثل محاكمة الحيوان والقضاء عليها بنفي او بتعذيب او بصلب وكنبش الموتى ومحاكمتها واصدار الاحكام عليها وهذا ما تعالت عنهُ هذه الشريعة علوّاً كبيراً

٥ لو صحَّ ان يكون القانون الروماني من مصادر الشريعة الاسلاميّة لحقّ ان يكون موطن هذا التشريع او احد مواطنهِ في اقلّ ما يكون بلداً من البلاد التي كانت خاضعة لسلطان روما نازلةً على احكام قانونها وهذا ما لم يكن شيءٌ منهُ

وثمّة وجه آخر لا يجدر السكوت عنهُ وهو انّ القانون الروماني كان من قبل مشوّشاً مشتّتاً لم يظهر بشكلهِ الاخير الاّ بعد ان لابست الترجمةُ العرب في الاندلس واخذت العلم عنهم . . . واذا نحن وازنّا بين هذين الرأيين رأي القائلين بان الشريعة الاسلاميّة استقت من القانون الروماني—وهو رأي قد تكشّفت مقاتلهُ—ورأي القائلين بانّ الشريعة الاسلاميّة هي التي امدّت هذا القانون فصيّرتهُ ما هو لكانت كفّة هذا الرأي هي الراجحة وحجّة القائلين به اقرب للعقل وارزن في النقل

هذه هي حجج عارف بك لذلكَ حقيقةٍ اثبتها اكبر المستشرقين في زماننا اللهمَّ الاّ بعض المتهوّسين الذين لا يعدل احد الى اقوالهم الباطلة كسيديليو وغوستاف لوبون وامثالهما المدّعين باكتشاف ما لم يعلمهُ غيرهم . وفي ذيل هذه الصفحة اسماء الذين درسوا هذه المسألة واستوفوا حقوقها ورأوا الامر على خلاف ما رآهُ عارف بك ١)

1) **Von Kremer** : Kulturgeschichte d. Orients unter d. Chalifen I,532 *sq.* — **H. Hughes** : Les origines du Droit Musulman (*La France judiciaire*, 1880, *p.* 252-256) = **Goldziher** : Muham. Studien, *II.* 75—Le dogme et la Loi de l'Islam (*trad. Arin*, 1920), *p.* 39-art. **Fikh** (*dans l'Encyclop. de l'Islam*) = **Dareste** : Etudes d'Hist. du Droit = **E. Lambert** : Fonction du droit civil comparé I, 282-3;263,

وقبل ان نفحص الادلة السابق ذكرها يجب ان ننبه صاحب المحاضرة على امرٍ لم يخطر له على بال وهو ان جزيرة العرب قبل الاسلام كان نفذت اليها النصرانية من كل جهاتها كما ترى في كتاب مدير هذه المجلة المعنون بتاريخ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . وكانت الشرائع الرومانية قد نفذت الى العرب مع النصارى حتى دخلت في معاملاتهم اليومية وحياتهم الاجتماعية . ولنا على ذلك دليل جليل في جرجنسيوس رسول الحميريين وكان رومانياً وسُقّف على بلاد اليمن نحو مئة سنة قبل الاسلام . فلجرجنسيوس هذا دستور شرائع تُعرف بشرائع حمير في ٦٤ فصلاً كلها مشربة بالفقه الروماني لو شاء عارف بك ان يراجعها في اصلها اليوناني عليه بها في مجموعة الآباء اليونان (Migne. PP. GG. vol. *86*, p. 566-620) . وما يقال عن اليمن يمكن اثباته لبادية الشام والعربية الرومانية وللجهات التي كانت فيها القبائل النصرانية كغسان وكندة وتنوخ وغيرها . وبهذا يسقط كلّ احتجاج عارف بك عن القضاء بين العرب قبل الاسلام ولمّا قام الاسلام على انقاض الجاهلية لا بُدّ من القول أنّه اخذ اشياء كثيرة من عرب الجاهلية في القضاء كما في غيره من العلوم

دعنا الآن ننظر مليّاً في ادلّة عارف بك . قال في (دليله الاول) ان القانون الروماني «وُضع في بضعة عشر قرناً» (بل قُل ١٣ الى ١٤ قرناً مع ما تقدّم الاثني عشر لوحاً وهي خلاصة شرائعَ سابقة) وان القضاء في الاسلام «نضج في فترة قصيرة لم تبلغ القرنين» . فهذه المقابلة لا تفيد عارفاً بك شيئاً بل هي عليه لا له اذ يقال انّ الشريعة الاسلامية وجدت في ما روى قبلها القانونُ الرومانيّ سنداً وقاعدة سَهّل عليها نقل ما سبقت اليه حكمة رومية وكبار فقهائها فتمّ ذلك للعرب بوقتٍ قريب

n. 1; 342. n. 2=**S. Hurgronje**: Le Droit Musulman(*RHR, XXXVII*, 1898, *p*, 189-203) = **F. F. Schmidt**: Die occupatio in islamische Recht ;*Der Islam, I*, 300-383 *et ZDM(r,LI)*= **V. Chauvin** : La Constit. du Code Théodosien sur les Agri Deserti et les Mewât (الموات) des Arabes = **E. Carusi** : Sui rapporti fra diritto romano e diritto musulmano =**Nallino** : Gli studi di E. Carusi sui diritti orientali(*RSO, IX*, 1921, *p*.125-128) *et la Bibliographie citée par lui*—**Santillana**: Av. Proj.de Code de Droit Tunisien,(*surtout pp. XII—XIII. RSO, VII*, 706; *VIII*. 768—776) — **Préface de la trad.de Sidi Khalil par Guidi et Santillana** *XII-XIII : vol. II notes* et nombreux rapprochements entre le Droit Malékite et le Droit de Justinien.

لم يستثنوا في نقلهم سوى عقائدهم الدينيّة (١

وكذلك في ذكر عارف بك في دليله الاول لمصادر القضاء الاسلاميّ ما ينقض براهينه . ذكر هناك « الكتاب » ومعلوم انّ القرآن لا يحتوي كثيرًا من المسائل الفقهيّة . ثمّ ذكر السُنّة . وكلّ اصحاب النقد من المسلمين وغيرهم يعلمون كيف تألّفت السنّة وما دخلها من المنقولات المختلقة والمرويّات المصنوعة وتأثيرُ الشرائع الرومانيّة فيها ظاهر فانّ مدير هذه المجلّة روى في فصل طويل عددًا عديدًا من الاحاديث منقولة بحرفها عن اسفار التوراة من العهدين القديم والحديث ولو شئنا لأمكننا ان نروي مثل ذلك عن القانون الروماني . امّا القياس والاستنتاج والاجماع والاجتهاد ففي كلّ ذلك سبيلٌ مَهيَع لتداخل القانون الروماني في اصول القضاء الاسلاميّ (٢

وليس (الدليل الثاني) اقوى واثبت من السابق . فان كان التاريخ لا يذكر احدًا نقل الى العربيّة القانون الروماني كما روى اسماء نَقَلة بقيّة العلوم فلأن هذه العلوم لم يُباشر نقلها الى العربيّة الّا في اواخر القرن الثاني للهجرة . امّا القانون الروماني فانّهُ اندمج في حياة العرب المسلمين في اوّل فتحهم لبلاد الروم اذ خرجوا من قفارهم وعاينوا اممًا راقية المدنيّة فوجدوا بينهم ذلك القانون الكامل الاهبة الذي كانوا يجرون عليه منذ عهد طويل فلم يسع العرب الّا موافقتهُ شاءوا ام أبوا . واذ اقاموا قُضاةً من العرب في تلك البلاد ما امكنهم الّا الاستقاء من موارد القانون الروماني للقضاء في امور عديدة ما كانت تخطر لهم على بال وهم في جزيرتهم . وهذا ما يقرّ به عارف بك نفسهُ بقوله في دليله الاول « وقد بُني كثيرٌ منهُ (اي القضاء الاسلاميّ) على العادات في الامم التي دخلت تحت لواء الاسلام » فما هي تلك العادات الّا ما انفذتهُ الشرائع الرومانيّة في سياسة بلادها فلمّا عاينها العرب وعرفوا صلاحيّتها جروا عليها وقاسوا على قياسها بما يدعونهُ الاجتهاد

(الدليل الثالث) يسقط بما قدّمنا . فانّ القانون الروماني لم يُنقَل الى العربيّة لتظهر فيها مسحة عجمته كما ترى في بقيّة العلوم وانّ نفوذهُ كان عمليًا ومعنويًا اكثر

---

١) راجع مقالة غولدسيهر عن الفقه في دائرة العلوم الاسلاميّة
٢) اطلب Lambert, 342, n° 3

منهُ لفظياً كما اظهر ذلك علماء الفقه بالمقابلة اذ وجدوا في بعض الشرائع الاسلاميّة وتفاصيلها مطابقةً تامّة لا يمكن نسبتها الى طبيعة الشعوب كما يزعم عارف بك في (دليله الرابع) اذ تفرّد بها القانون الرومانيّ . اما قوله ليس في القضاء الاسلامي لفظٌ غريب فيردّهُ اسم «القانون» نفسهُ وهو يونانيٌّ رومانيّ

وقد ذكر عارف بك في (دليله الرابع) المشار اليه ما دعاهُ بالجزعبيلات كمحاكمة الحيوان والقضاء عليها بالنفي او بالتعذيب وهو زعم غريب في بابه . ولعلّ الكاتب اشار الى ما ورد في الفصل المعنون (de pauperie et de pastu) حيث يحكم على «اصحاب المواشي» بالعقاب لأضرار سبّبتها بعيثها . فيا للعجب اهكذا نسب عارف بك الى الحيوان ما لا يصحّ الّا عن صاحبه . وبه يظهر مبلغ عارف بك من التحقيق في مزاعمه

اما (دليلهُ الخامس) والاخير فبحثٌ سفسطة حيث اراد «ان يكون موطن التشريع الروماني او احد مواطنه بلداً من البلاد التي كانت خاضعة لسلطان روما نازلة على احكام قانونها» ألا يعلم جنابهُ انّ القوانين في حركة متداومة تظهر على صور جديدة مع اشتقاق بعضها عن بعض . فمن يا ترى ينكر انّ القانون الفرنسوي لم يستمر شيئاً من القانون الروماني لأنهُ يجري على صورة جديدة بعد الغاء القانون الرومانيّ . ثمّ انهُ من المعلوم انّ القانون الروماني عند ظهور العرب كان يتطوّر باطوار تختلف على حسب الظروف والامكنة . ففي سوريّة مثلاً كان القانون الرومانيّ على صورة خاصّة بهذا القطر فكان يُدعى لهذا السبب بالقانون السوريّ الرومانيّ

ومن هذا ترى ما يجب الحكم به على قول عارف بك في آخر هذا الدليل الخامس «بان القانون الروماني بلغ شكلهُ الاخير بعد ان لابست الفرنجةُ العرب في الاندلس واخذت العلم عنهم» فانّ كلاماً مثل هذا لا يفوه به الّا من يجهل مبادئ التاريخ الصحيح ويقيس الامور على مقتضى اوهامه الباطلة ما لم ينوِ عارف بك ملابسة الفرنجة للعرب في ساحة بواتيه سنة ٧٣٢ للميلاد !

وفي هذه المحاضرة اشياء غيرها لا يسعنا ان ننتقدها كقوله مثلاً (ص ٧) :

«لمّا جاء الاسلام . . . لم يكن حكم في ايام الرسول غيره وكذلك كان الامر ايام خليفته ابي بكر والسبب في ذلك انّ الاسلام كان لذلك العهد قلّما منحصراً في جنوبي الجزيرة وكان

قد تفشّت في روع الناس آداباً سامية وبعث فيهم اخلاقاً عالية غلبت لبّ من دخل فيه اعجاباً وافتتاناً » (كذا!)

فكيف يُثبت عارف بك قولهُ هذا والطبري اوّل واكبر مؤرخي الاسلام يقول في تاريخهِ (١ : ٢٠١٥) :

« وفي هذه السنة سنة ١١ انصرف معاذ بن جبل من اليمن واستقضى ابو بكر فيها عُمَر ابن الخطّاب فكان على القضاء ايّام خلافتهِ كلّها »

فما قول عارف بك بهذه الشهادة المخالفة لقولهِ . فعلى رأينا انّ « استاذ علم الاجتماع في مكتب الحقوق بدمشق » لم تسمح لهُ ابحاث تعليمهِ الخاصّ بان يتبحّر في ابحاث علم آخر ليس هو من فرسانهِ اعني «تاريخ الحقوق»

مطبوعات شرقية جديدة

George Guy-Grand, Gaëtan Bernoville, Albert Vincent : Sur LA PAIX RELIGIEUSE, Paris, Bernard Grasset, Prix 6f 75

السلام الديني

كانت الحرب الاخيرة اخمدت ثورة المعادين للدين واطفأت ثائرة حزبهم . على انّ المتطرّفين لم يعتبروا ذلك الّا كهدنة موقتة وهم يحاولون إسعار تلك الفتن . امّا العقلاء من كلّ الاحزاب فيرون انّ هذه المنازعات تضعف فرنسة في وقت حاجتها الى توحيد الكلمة بإزاء اعدائها . وها هوذا كتاب وضعهُ ثلثة رجال مختلفي الآراء السياسية وهم يبحثون باستقامة عن الطرق المؤدّية الى هذا الاتّحاد الوطني فيرون ان ذلك يتمّ خصوصاً بالتربية المدرسيّة . امّا هذه التربية فيريدها احد هؤلاء المؤلّفين الثلثة وهو المسيو كي كران في مدارس حائدة عن الدين على مقتضى الشرائع الباطلة التي سنّها اعداء الكنيسة . وهو يبني الحلّ لهذا الشكل لما يُعرف من سوء عقبى المدارس اللادينيّة . امّا المؤلّف الثاني المسيو غايتان برنوفيل الذي هو من الكاثوليك العاملين فيبيّن انّ الحياد عن الدين وتعليم الكنيسة الكاثوليكية على طرفي نقيض وهو يثبت انّ اولى طريقة لذلك ان تُعطى الكنيسة حقوقاً شبيهة بحقوق عموم المدارس

الرسميّة ولولا ذلك تبقى الحرب مستمرةً بين الكنيسة والدولة . أمّا المؤلف الثالث وهو من كبار اساتذة المدارس المسيو البار قتان المعروف باصالة الرأي واعتدال الحكم فيريد انّ كل فرقة في الدولة تنال حقّها . فالحكومة تسمي بتربية رجال يقومون بمهمّات الدولة . والحزب الديني يهتمّ بتثقيف عقول الشبيبة بالآداب والدين . وتُترك كذلك الحريّة لبقيّة الاحزاب ليهذّبوا ناشئتهم على مقتضى آرائهم . وهذا الكتاب كثير الفوائد يمكن القارئ ان يطّلع بهِ على هذه المسئلة من كل وجوهها فيحكم فيها حكماً صائباً

ج . لوثنك

Missale Romanum a Pio X reformatum et SSMI D. N. Bendeicti XV auctoritate vulgatum. *Turonibus, typis Alf. Mame et Filiorum, MCMXXII*

القانون الروماني

انّ مطبعة مام في مدينة طور بلغت مبلغاً فريداً بحسن مطبوعاتها حتى انّ الكرسيّ الرسولي آثرها مراراً لنشر كتبهِ الرسميّة . وهذا مثال جديد من تلك المطبعة جامع لكل محاسن الطباعة يحتوي نافور الكنيسة الرومانيّة مع كافّة صلوات الاعياد الثابتة والمتنقلة كما اصلحها بيوس العاشر واثبتها خلفهُ بندكتوس الخامس عشر بقطع صغير يصلح للأسفار وتقرّ بهِ كلّ الابصار

ل . ش

Albert Thibaudet : La Campagne avec Thucydide. *Paris, N^lle Revue française, 3 Rue de Gresselle*, 1922, *Prix* 8f, 50

السير الى الحرب مع توقيديدس

قليلون هم المؤرخون بين القدماء حتى اليونان والرومان الذين بلغوا في وصف حروبهم ما بلغهُ توقيديدس . فانّ هذا الكاتب البارع جمع في التاريخ الذي كتبهُ عن حروب اليونان في القرن الخامس قبل المسيح كلّ صفات الكتبة الكبار من صدق ودقّة وبلاغة وتجرُّد عن الاغراض . فان تاريخهُ لحرب البيلوبوناز آيةٌ في بابهِ لا يتصفّحهُ القارئ الّا يذهل عن وجدانهِ ليتبع قائدهُ في معمعان الحرب وحركات الجيوش . وقد ساعدهُ في حسن وصفهِ حضورهُ المواقع التي جرت في زمانهِ فيحييها بقلمهِ بحيث يراها القارئ رأي العيان . وقد شُغف احد اساتذة فرنسة وكتبتها المعدودين المسيو تيبوده بحبّ ذاك المؤرخ فخصّص لهُ كتاباً كبيراً بيّن فيهِ ما لهُ من

الفضل في وضع تاريخهِ وما ازدان بهِ ذاك التاريخ من المحاسن الجمّة . وقد جاء هذا الكتاب في وقتهِ بعد الحرب الكونيَّة وما سطّرهُ الالوف من الكتبة عنها فتعين القابلة على إظهار فضل ذاك الكاتب القديم الاب ب . كستاكيس

Le Principe des Nationalités et les Guerres, par B. Lavergne. Paris, les Questions actuelles, Félix Alcan, in-16, pp. 210, Prix 8f

مبدأ القوميّات والحروب

قامت الدول وقعدت بعد الحرب الكونيَّة لتجد وسيلة كافلة بالسلام الثابت وإلغاء الحروب فشكّلوا لذلك جمعيَّة الامم وعدّدوا المؤتمرات وعرضوا التطبيقات المختلفة فلا يكادون يجرّبون طريقةً إلّا ينظرون بعد قليل خللها ونقصانها . وصاحب هذا الكتاب احد اعضاء مكتب الحقوق المسيو لافرني اراد ان يرمي دلوهُ في جملة الدلاء لعلّهُ يمهّد الطريق لهذه الغاية المرغوبة فهو يرى انّ الحروب لا يمكن النجاة منها ما لم تتّفق الدول على تشكيل عصبة مستقلّة تعرفها كل الدول وتخضع لها مع تجهيزها بالوسائل الكافلة بتنفيذ احكامها وهذه العصبة يدعوها الكاتب « السائدة على الدول » (Sur-Etat) تفوق على جمعيَّة الامم الحاضرة بسلطتها الفعليَّة وقهرها لكل مُعارض . ولكن هيهات ان ترضى الدول باقامة عصبة كهذه فتتقيَّد باوامرها وترضخ لأحكامها فتفقد بذلك استقلالها . على انّ هذا الكتاب لا يخلو من نظريّات صائبة في احوال زماننا وبيان المشاكل المتعدّدة التي يخوض العالم في عُبابها ل . ش

Colonel Rézanof : La troisième internationale. *Paris, Editions Bossard*, 1922, *Prix* 3f, 90

الاشتراكيَّة الدوليَّة الثالثة

نشر هذا الكتاب الكولونل رزانوف قبل مؤتمر جنوة بزمن قليل وهو وكيل العدليَّة الحربيَّة في الجيش الروسيّ القيصري وكانت غايتهُ بنشرهِ ان يبيّن الخطر العظيم الناجم من الاعتراف بجمهوريَّة السوفيات لان حكومتها ساعية بالنهضة الثوروية المرتبطة بكل انحاء المعمور . وهناك احدى عشرة صورة لزعمائها ج . ل

Jean Maxe : Les Cahiers de l'Anti-France, le Bolchévisme littéraire. *Paris, éditions Bossard*, N° 1, *Prix* 2f,70

تعريف المعادين لوطنهم فرنسة

انّ المتولّي لنشر هذه المجموعة التي نصف العدد الاوّل منها قد اراد ان يخدم

وطنهُ فرنسة بتعريف بعض رجالها الذين بكتاباتهم ومساعيهم الخبيثة يعدُّون لاعداء دولتهم الطريق لنشر مبادئهم الوخيمة مبادئ البولشفيَّة والثورة العموميَّة. وقد باشر بالكاتب الفوضوي المسمَّى «Romain Rolland» فنقل كثيرًا من اقاويلهِ المؤذنة بنيّاتهِ السيّئة. فنتمنَّى لهذه الثمرة التي ستبلغ عشرة اعداد رواجاً كبيرًا   ج. ل

﴿ انارة الالباب ﴾ هو عنوان كتاب الّفهُ القس ف. ج سمث وعرّبتهُ ادال جريديني واتَّخذتهُ كدستورها ارساليَّةٌ بروتستانيَّة حلَّت حديثاً في بيروت فاختارت حيَّ مار مارون لتنفث فيهِ سمَّ تعاليمها ضدَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة. فلو راجعتَ الكتاب لوجدتَ صاحبهُ في صفحاته ال١٠٠ لا يجد في العالم نورًا الَّا في الشيع البروتستانيَّة التي ملَّ انصارها من مناقضاتها وتقلُّباتها حتى لم يعد بينها اثنان يتفقان على رأيٍ دينيّ واحد ولذلك ينمو كلَّ يوم عدد المرتدّين من عقلائها الى الدين الكاثوليكي. والعجب من مؤلف هذا الكتاب انهُ اذ يسطع في عينهِ الرمداء نور البروتستانيَّة المظلم لا يرى شمس الكثلكة التي تبهر اعين العميان نفسهم فضلًا عن ابصار الباصرين فلا يخجل ان يدعو الحبر الاعظم (ص ٢٦٣) «ابن الهلاك الجالس في هيكل الله مدَّعياً انهُ إله» وانَّ الكنيسة البابويَّة (ص ٣٦٦) هي «امّ الزواني ورجاسات الارض والسكرى من دم القديسين» وانها «قتلت ستين مليوناً ذهبوا ضحيَّة جورها» وانها «هي الوحش والتنين المرموز بهِ في سفر رؤيا مار يوحنا». فتلك واشياء كثيرة مثلها هي الانوار التي اتى اصحاب هذه الشيعة ليبثُّوها في حيّ مار مارون بكلّ قحة. فلا نعلم كيف يسكت عن هؤلاء الاشقياء جمهور المسيحيين في ذلك الحي ولم يحتجُّوا عليهم عند اصحاب الدولة وبين قوانينها وجوب احترام الاديان

شذرات

﴿ وفاة ملك الصحافة ﴾ لما ذكرنا في عدد تموز الاخير (ص ٦٦٧) ذلك الرجل

المظلم اللورد نورثكليف الذي بجدهِ وعرق جبينهِ بلغ الى ضبط ازمّة الصحافة في وطنهِ بل في اوربةَ جماء . ما كنا لنظنّ انّ المنيّة تترصّدهُ في منتصف ذلك الشهر . وقد أُصيب بمرضهِ الاخير في مدّة سياحتهِ في المانية اذ كان يطوف فيها ليُطرف صحفهُ بمقالات ضمّنها ما وقف عليهِ من امور تلك البلاد بعد انكسارها فنُقل الى وطنهِ ليعالجهُ نطس اطبائها فلم ينجع فيهِ دواء . ومات مأسوفاً عليهِ تاركاً للعالم مثالاً نادراً للجدّ والنشاط والبلوغ بهما الى اشرف الغايات واعظم المشروعات

﴿القس نعمة الله ابو ناضر﴾ فُجعت الرهبانيّة اللبنانيّة باحد ابنائها الافاضل القس نعمة الله ابو ناضر في ٢٠ من الشهر الماضي لستأثر بهِ الله في دير الكحلونيّة وهو في الستين من عمرهِ . وكان الفقيد احد تلامذة كليَّتنا النشيطين قضى ستّ سنين في مصاف الاكليريكيين ثمّ تقلّبت بهِ الامور فتعاطى محاماة الدعاوي والكتابة في صحف الاستانة وبيروت وخالط رجال النهضة الجديدة الى ان اقرأ الوداع على العالم وزهد في الدنيا في الرهبانيّة فجرى على كلّ قوانينها بتدقيق وأدّى لها خدماً متعدّدة في ما قُلّدهُ من الوظائف بين اخوتهِ . وقد خلّف مآثر كتابيّة شتّى تشهد لهُ بالذكاء وجودة القريحة

﴿العرب مكتشفو فنّ الطباعة في الاندلس﴾ للسيّد محمد كرد علي في مجلة المجمع العلمي في دمشق مقالة ضافية في حاضر الاندلس وغابرها جمع فيها عدّة معلومات متفرّقة في كتب العرب كنّا نودّ لو دلّ اليها الكاتب البارع تسهيلاً لمراجعتها في مظانّها . فانّ في ما رواهُ اموراً كثيرة يصعب علينا تصديقها ما لم نفحصها بنظر الانتقاد ونقف على رواتها ولعلّنا نعود اليها غير مرّة . ونكتفي هذه الدفعة بنقل ما اوردهُ من فنّ الطباعة قال (ص٢٢٩) :

« وفي الاندلس عُرف الطبع فكان احد ابنائها هو السابق في مضمار هذا الاختراع الذي لم تنتفع الانسانيّة بأفيد منهُ . فكانت لهم فيهِ طريقة لم يتّصل الينا خبرها بالتفصيل بل عُرف اجمالاً انّ عبد الرحمان بن بدر من وزراء الناصر من اهل المئة الرابعة « كان ينفرد بالولايات فتكتب السجلّات في دارهِ ثمّ يبثّها للطبع فتُطبع وتخرج اليهِ فتُبثّ في العمال وينفذون على يديهِ » فاذا كان هذا هو الطبع المعروف ولا نظنّهُ الّا هو فيكون ابن بدر العربي قد سبق غوتنبرغ الالماني مخترع الطباعة بنحو اربعة قرون »

ونحن ما نظنّ « الّا انهُ ليس هو » . كيف فات على جنابهِ انّ اهل الصين كانوا

منذ القرن السادس للمسيح يطبعون الكتب بعد حفر صورها على الخشب ثابتةً . ولعلهُ رأى امثلةً عديدة منها في المتحف البريطاني في لندن . وكذلك الطبع على الحجر هو قديمٌ في الصين وذكرنا في الشرق اصولهُ ومعرفة العرب بهِ (٣ [١٩٠٠] : ٧٨-٧٩) وذكرنا النصّ الذي رواهُ عن بَدر مولى الامير عبدالله . ولكن هيهات بين هذا الفن وفنّ الطباعة المعروفة اليوم على الحروف المصبوبة المتنقلة . فيرى جنابهُ انَّ فضل غوتنبرغ لا يزال تامًّا دون شائبة

﴿ماسوني قح﴾ تشرّفت الماسونيّة في هذا الصيف الاخير بانضمام احد «الاعيان» اليها . نريد بهِ «حنَّا ابا راشد المارونيّ احد الرهبان الثلاثيين سابقاً» صاحب جريدة دعاها بالنادي (ولا حياة لمن تنادي) فهذا البطل الماسوني اراد ان يثبت مبادئهُ الحرَّة (اوَّلًا) بفسخ زواجهِ الشرعيّ على خلاف كلّ نواميس كنيستهِ ليعيش بالفجور مع امرأة ليست هي زوجتهُ . (ثانياً) بانضوائهِ الى البروتستانيَّة وجحود دينهِ مثبتاً قول المثل الدارج انَّ كاثوليكيًّا اذا انتمى الى الشيع البروتستانيَّة لا يفعل ذلك عن اعتقاد بل لسبب «الفلوس او العروس» . (ثالثاً) باختلاسهِ مال عُمَّال الترامواي كما روت الرسالة المصوَّرة في تاريخ ٢٨ ايلول اذ جمع منهم نيفاً ومائتي ليرة بحجَّة الدفاع عن دعواهم ثم اخذ يجمع دراهم من البلدة بحجَّة مساعدتهم فطلبوا من الحكومة محاسبتهُ فاضاف الى الزنى السرقة ولسنا لنعجب من سرقاتهِ هذه الجديدة وهي «شنشنة نعرفها من اخزم» فانَّه اختلس في أيام الحرب من مكتبتنا الشرقيَّة خمسين كتاباً من نوادر المخطوطات وكان عرض نفسهُ لحفظها فانخدعنا بقولهِ وسلَّمناهُ أيَّاها . فما احرى بيوسف افندي الحاج ان يفرح بنموّ الماسونيَّة على يدي مثل حنَّا ابي راشد. ونتمنَّى لهُ حياً سار ان يشرّف ابناء الارملة بأخوة مثله فيعرف الجميع الشجرة من ثمرتها

﴿تمثال غليليو في بيزة﴾ بمناسبة الاعياد الفخيمة التي أُقيمت في بادوة لتذكار غليليو في اواسط شهر أيار عزم الكردينال مافي رئيس اساقفة بيزة على اقامة تمثال لهذا النابغة في مدينته بيزة التي علَّم في كليتها زمناً طويلاً الرياضيات . والتمثال دُعي الى نحتهِ احد مشاهير هذا الفنّ وسيدفع الكردينال من مالهِ الخاص كلّ نفقات العمل . وفي هذا شاهد جديد على اجلال الكنيسة لذلك العلَّامة واعتبارها لاكتشافاته

﴿منشورات زراعية لدولة العراق﴾ اهدتنا الآنسة الانكليزية مس بل ذات الآثر الجمّة نسخة من مطبوعات دائرة الفلاحة والزراعة الانكليزية في العراق. وهي عبارة عن كراريس مختلفة طُبعت في بغداد والبصرة وبباي تحتوي مقالات مفيدة ودروساً متقنة في نبات العراق واشجاره ومزروعاته لاسيّما النخل والاشجار المثمرة والقطن وغيرها مع ما يتعلّق بتحسينها وتجويد تربتها وعلاج عللها . فوجدنا في هذه المنشورات شاهداً حياً عمّا يؤديه الانتداب الانكليزي لتلك البلاد من الخدم الجليلة. والزراعة كما هو معلوم ثروة ذاك القطر العظمى

﴿التعليم الاجباري﴾ كتبنا في العام الماضي مقالاً واسعاً في المشرق (١٩ [١٩٢١]: ٤٣٥—٤٤٤) نقلتهُ جريدة البشير وبيّنّا فيهِ ما هو هذا التعليم مع لمحة في تاريخهِ والدواعي اليهِ ونتائجهِ واستحالة تنفيذهِ بحيث لم يبقَ في الامر شبهة . ومن العجب أنّنا نرى بعض الجرائد لا تزال تعود الى هذه المسألة فيدّعي كتبتها انّ هذا التعليم الاجباريّ هو الدواء لكلّ الادواء وعليهِ يتوقّف كلّ رقيّ ونجاح . وهذا احد تمويهات العصر الجديد الذي ينخدع ويخدع ببهرجة الكلام وطنطنة الالفاظ . وقد احسنت جريدة البشير في ردّها على هذه المدّعيات الباطلة اذ كتبت في عددها الصادر في ٢١ ايلول ما بعض فقراتهِ :

« نحن مع اقرارنا بحسنات التعليم لا نقاسم هؤلاء الكتّاب آراءهم لانهُ لو صحّ ما يترجّبونه لهذه البلاد من وراء التعليم الاجباري لكانت الدول العاملة بهِ جنّة عدن ! على أنّنا نعلم أنها لم تزل سجون تلك البلدان غاصّة بالمجرمين والمجرم العالم شرٌّ من المجرم الغبيّ او الاميّ بل انّ افظع الجرائم قد يقترفها اعلمُ البشر . واكثر البشر ضرراً للبشر قد يكونون اولئك الذين تفقّهوا بالعلوم »

ثمّ عدّدت الجريدة ما يقتضي هذا العلم الاجباري من الملايين من الليرات في حين يئنّ الناس من الضرائب الحاليّة . وهذه النفقات لا تُصرف فقط على المعلّمين لكن على تشييد المدارس في كلّ قرية وعلى تأثيثها ومراقبة دروسها وتنفيذ اوامر الحكومة بزيادة عدد البوليس . الى ان قالت :

« من المصائب في بلادنا انّ كثيرين يطمحون الى ما لا يتّفق مع حالتهم ولا مع مصلحتهم او مصلحة البلاد . من ذلك انّ السواد الاعظم منّا دون فرق بين الفقير والموسر يتطلّب العلوم الادبيّة والنظريّة الثانويّة بل العالية . فمتى خرج الطالب من معهد العلم ينظر في بلاده فلا يجد فيها شغلاً لهُ ويأبى ، وهو الدارس ، ان يرجع الى الزراعة والصناعة فيصبح وقراً على اهلهِ ونفسهِ

اسئلة واجوبة

س سأل مستفيد ما معنى اسم «سنّ الفيل» القرية المجاورة لبيروت وهل وُجدت سابقاً فيلة في سوريّة لتُنسب القرية الى احدها ؟

سنّ الفيل والفيلة في سوريّة

ج قد بحث في ذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار (٢ : ٢٠٠-٢٠١) حيث بيَّن وجود الفيلة في لبنان وفي جهات حمص قديماً . ومما ورد مؤخَّراً في ذلك فصل للاثري الاميركي بيشوف (C. W. Bishof) في المجلة الاميركيَّة الشرقيَّة (JAOS., XLI, 1921, p. 290 su) انَّ الفيل الاسيوي كان احد الحيوانات الشائعة في سوريَّة وما بين النهرين في عهد السلالة المصريَّة الثامنة عشرة وفي زمن ملك أُشور سلمنآصر الثالث . فمن المحتمل أنَّ الذين جدَّدوا السكنى في قرية سنّ الفيل وجدوا هناك بقايا من العاج وهو سنّ الفيل

س وسأل آخر : ما هو «حَمَل الله» الذي نرى بعض الكاثوليك يتبرَّكون بهِ ويحملونهُ كحرز او تميمة ؟

حَمَل الله

ج لا يجوز للكاثوليك حَمل التمائم والأحراز والعُوَذ فانها كلها معتبرة كمعتقدات باطلة . وانّما يحمل الكاثوليك باجازة الكنيسة بعض الاشياء التقويَّة كالايقونات والصلبان وثوب العذراء مما يُساعد المؤمنين على اكرام القديسين والبتول العذراء والتماس شفاعتهم والاقتداء بفضائلهم وربح ما يعلّقه عليها الحبر الاعظم من الغفارين . وما حَمَلُ الله الّا احد هذه المواد التقوية وهو عبارة عن قطع مستديرة من الشمع تُرسم عليها صورة الحَمَل تذكاراً للسيّد المسيح المدعوّ في الانجيل «بحَمَل الله الحامل خطايا العالم» فيباركها الحبر الاعظم بتلاوة صلوات معلومة في حفلة حافلة في اوَّل جلوسهِ على الكرسي الخلافة البطرسيَّة ثمَّ كلَّ سبع سنين من رئاستهِ على الكنيسة وتوزَّع على المؤمنين فيتّخذونها كوسيلة لطلب النعم من الله ل . ش